المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
معهد البحوث العلمية
وإحياء التراث الإسلامي

مركز بحوث الدراسات الإسلامية

من أشــراط الساعــة
خروج دابة الأرض
- دراسة عقدية -

تأليف
د . سامــي بن علي القليطــي
أستاذ العقيدة المشارك بقسم الدراسات الإسلامية
كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة طيبة بالمدينة المنورة

١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
معهد البحوث العلمية
مركز بحوث الدراسات الإسلامية

سلسلة بحوث الدراسات الإسلامية

من أشراط الساعة

خروج دابة الأرض

- دراسة عقدية -

تأليف

د. سامي بن علي القليطي
أستاذ العقيدة المشارك بقسم الدراسات الإسلامية
كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة طيبة بالمدينة المنورة

١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م

ⓒ جامعة أم القرى، ١٤٣٠هـ.

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر.

القليطي، سامي بن علي

من أشراط الساعة خروج دابة الأرض/ سامي بن علي القليطي- مكة المكرمة، ١٤٣٠هـ

١٦٠ ص ؛ ١٧× ٢٤ سم

١ – علامات القيامة أ. العنوان

ديوي ٢٣٤ *٤٩٣٩ / ١٤٣٠*

رقم الإيداع : ٤٩٣٩ / ١٤٣٠

ردمك : ٠-٨٦٥-٠٣-٩٩٦٠-٩٧٨

الطبعة الأولى

المقدمة

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أنَّ لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾(١).

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾(٢).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾(٣).

أمَّا بعد:

فإنَّ الإيمان بالساعة وأشراطها، ومعرفة علاماتها، ينطوي تحت ركن في الدين عظيم، وهو الإيمان باليوم الآخر؛ الذي قرنه الله عز وجل في غير موضع في كتابه بتوحيده والإيمان به.

ولَمَّا كان أمر الساعة شديداً كان الاهتمام بها كبيراً، فلقد تحدث الله - تبارك وتعالى - عنها وعن علاماتها في القرآن الكريم كثيراً، كما أكثر النبي ﷺ الحديث عن

---

(١) سورة آل عمران، الآية ١٠٢.

(٢) سورة النساء، الآية ١.

(٣) سورة الأحزاب، الآية ٧٠ – ٧١.

علاماتها القريبة والبعيدة، الكبرى منها والصغرى، وأخبر عما بين يديها من الفتن؛ صغيرة كانت أو كبيرة، كما اهتم بها صحبه الكرام وتدارسوا أمرها وعلاماتها في مجالسهم ونواديهم؛ لعلمهم علم اليقين بما في ذلك التدارس من فوائد وآثار تنعكس إيجاباً على إيمان الفرد، وبعده عن المعصية والذنب، وملازمته ومسارعته لامتثال أوامر الرب.

قال العلامة البرزنجي رحمه الله: "كان حقاً على كل عالم أنْ يُشِيعَ أشراطها، ويبثَ الأحاديث الواردة فيها بين الأنام، ويَسْرِدَها مرة بعد أخرى على العوام، فعسى أنْ ينتهوا عن بعض الذنوب، ويلين منهم بعض القلوب، وينتبهوا من سِنَة الغفلة، ويغتنموا المُهْلة قبل الوهلة"[1].

ونظراً لما اشتمل عليه الحديث عن الساعة وأشراطها من فوائدَ وآثارٍ جمة تعود على الفرد والمجتمع بالخير الكبير، ولا سيما في هذا العصر؛ الذي ابتعد كثير من أهله عن تذكر الآخرة، وانشغلوا بالدنيا وزخرفها، وأصبح الإيمان عند بعضهم منحصراً على الإيمان بالمادة والمحسوس، أحببت أنْ أشارك في دراسة علامة من علاماتها الكبرى، والتي لم تحظى بزعمي ما حظيت به العلامات الأخرى من دراسات وبحوث، وهي "خروج دابّة الأرض وظهورها للعيان في أواخر الزمان"، وأحسب أنَّ هذه الدراسة ستكون – بإذن الله تعالى – دراسة علمية مستفيضة، كاشفة عن جميع جوانبها.

ومما دفعني لدراسة هذه العلامة بالإضافة لما سبق ما وقفت عليه في أمرها من أحاديث وآثار وأقوال كثيرة، متناثرة في تضاعيف كتب أهل العلم، تحتاج إلى جمع وترتيب وتنسيق ودراسة وتحرير، وكذا ما وقفت عليه من إنكار بعضهم لهذه العلامة،

---

(١) الإشاعة لأشراط الساعة (ص ٨).

أو تأويلها بتأويلات باطلة منحرفة، مبتعدة كل البعد عن هَدْي السماء، فقائل يقول: إنها الحشرات، وقائل: إنها البكتريا والجراثيم، وقائل: إنها دودة الأرض، وقائل: إنها النمل، وقائل: إنها رابع الخلفاء؛ الخليفة الراشد علي بن أبي طالب، وقائل: إنها المهدي، وقائل: إنها الإنسان نفسه، وقائل: إنها الإنسان الآلي المزود بالكمبيوتر، وقائل: إنها عصى موسى، وقائل: إنها مجادل أهل البدع من العلماء والمصلحين، وغير ذلك من أقوال جمعت منها سبعة عشر قولاً، يجدها القارئ بين طيات هذا الدراسة، كثير منها هي تخرصات وظن ورجم بالغيب، وتنظير فلسفي ليس فيه أثرة من كتاب أو سنة.

وقد عنونت لها بعنوان: "من أشراط الساعة "خروج دابَّة الأرض" دراسة عقدية"، انتهجت فيها المنهج الاستقرائي والوصفي والتحليلي، متتبعاً نصوص وأقوال العلماء في موضوع الدراسة قديماً وحديثاً، عازياً الآيات إلى مظانها في القرآن الكريم، مبيناً صحيح الأحاديث المروية عن النبي ﷺ من سقيمها، عازياً الأقوال والآثار قديمها وحديثها إلى مظانها، مبيناً ما شذ منها عن معتقد أهل السنة وعلماء الملة، جاعلاً خطتها مشتملة على ثماني مباحث؛ يتلوها خاتمة موضحاً فيها أهم النتائج التي توصلت إليها، ثم قائمة للمراجع، ففهرس للموضوعات، ويسبق ذلك كله مقدمة ذكرت فيها توطئة للموضوع، ومنهجي فيه، وستكون خطة العمل – بإذن الله تعالى – على النحو التالي:

المقدمة.

المبحث الأول: التعريف بالدَّابَّة.

المبحث الثاني: الأدلة الدالة على خروج الدَّابَّة.

المبحث الثالث: أقوال الناس في الدَّابَّة.

المبحث الرابع: أسباب خروج الدَّابَّة وظهورها.

المبحث الأول

التعريف بالدَّابَّة

الدَّابَّة في اللغة مأخوذة من الفعل "دَبَّ"، فيقال: دبَّ يدبُّ دبَّاً ودبيباً، وهي مفرد، وجمعها يكون على دواب، وتصغيرها دُوَيْبَّةٌ على القياس، وسُمِعَ دُوَابَّةٌ بقلب الياء ألفاً على غير قياس، واللفظ يطلق على المذكر والمؤنث، وحقيقته الصفة؛ فيقال للحمار دابَّة، كما يقال للحمارة دابَّة.

والدَّابَّة اسم لما دبَّ من الحيوان مُمَيِّزةً وغير مُمَيِّزة، والدَّبُ على الأرض هو المشي عليها بخفة مع تقارب في الخطى، وكلٌّ ماشٍ على الأَرض يقال له دابَّةٌ ودَبِيبٌ، وقد غلب لفظ الدَّابَّة في اللغة على ما يركب[1].

قال الزبيدي: "دبَّ النَّمْلُ وغيره من الحيوان على الأَرض يَدِبُّ دَبَّا ودَبِيباً، أَي مَشَى على هِينَتِهِ ولم يسرع. عن ابن دُرِيْد ودَبَّ الشيخ: مشى مشياً رويداً، قال:

زَعَمَتْنِي شَيْخاً ولَسْتُ بِشَيْخٍ ... إنَّمَا الشَّيْخُ مَنْ يَدِبُّ دَبِيبَا

ودَبَّ القوم إلى العدوِ دَبِيباً إذا مشوا على هِينَتِهِم لم يُسْرِعُوا"[2].

ولفظ الدَّابَّة استعمل في القرآن الكريم في مواطن كثيرة، فتارة أطلق على الإنسان والحيوان معاً؛ كقوله تعالى:﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾[3]، وقوله تعالى:﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ

---

(١) انظر: الصحاح للجوهري (١/ ١٤٩)، والقاموس المحيط للفيروز أبادي (١/ ٦٥)، ولسان العرب لابن منظور (١/ ٣٦٩ - ٣٧٠)، والمصباح المنير للفيومي (ص ١٠٠).

(٢) تاج العروس (١/ ٣٤٣).

(٣) سورة هود، الآية ٦.

دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾(١).

وتارة أطلق اللفظ على الإنسان وحده؛ كقوله تعالى:﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لا يَعْقِلُونَ﴾(٢)، وقوله تعالى:﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ﴾(٣).

وتارة على الحيوان وحده؛ كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لا يُوقِنُونَ﴾(٤)، وقوله تعالى:﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾(٥)، وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾(٦).

ولفظ الدَّابَّة استعمل في القرآن الكريم واللغة العربية في التعبير عن الحيوان أكثر من استعماله في الإنسان، كما اقتصر بعضهم اللفظ على حيوان اليابسة دون حيوان الماء، والأولى إطلاقه على عموم من مشى على الأرض؛ كما دل عليه المعنى اللغوي(٧).

---

(١) سورة النور، الآية ٤٥.

(٢) سورة الأنفال، الآية ٢٢.

(٣) سورة الأنفال، الآية ٥٥.

(٤) سورة النمل، الآية ٨٢.

(٥) سورة العنكبوت، الآية ٦٠.

(٦) سورة الحج، الآية ١٨.

(٧) انظر: التفسير الكبير للرازي (٦/ ٢١٢ - ٢١٣)، ومقال" الله خلق كل دابَّة من ماء" للدكتور زغلول النجار، جريدة الأهرام المصرية، العدد (٤٢٨١٢)، تاريخ ٣/ ١/ ١٤٢٥هـ، الموافق ٢٣/ ٢/ ٢٠٠٤م.

والدَّابَّة أنواع وجنسها مخلوق من ماء كما قال تعالى في محكم التنزيل: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[1].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: "يذكر تعالى قدرته التامة وسلطانه العظيم في خلقه أنواع المخلوقات على اختلاف أشكالها وألوانها، وحركاتها وسكناتها، من ماء واحد، فمنهم من يمشي على بطنه؛ كالحية وما شاكلها، ومنهم من يمشي على رجلين؛ كالإنسان والطير، ومنهم من يمشي على أربع؛ كالأنعام وسائر الحيوانات؛ ولهذا قال: ﴿يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ أي: بقدرته؛ لأنه ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن؛ ولهذا قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[2].

وقال الدكتور / زغلول النجار: "يوضح هذا النص الكريم: أنَّ طرائق تحرك الدَّواب هي وسيلة من وسائل تصنيفها الجيدة، وحركة الدَّابَّة هي انتقالها من مكان إلى آخر سعياً وراء طلب الطعام والشراب، أو للهرب من الأعداء، أو للارتحال عند التغيرات البيئية إلى مكان أنسب.

والطريقة الأولى التي حددتها الآية الكريمة في حركة الدَّواب هي المشي على البطن؛ كما هو شائع في الديدان، وهي من اللافقاريات عديمة الأطراف، التي تتبع قبائل عدة، وفي العديد من طائفة الزواحف والثعابين، ومن الثدييات ما يمشي على رجلين فقط؛ مثل الإنسان وحيوان الكنغر، وبعض القردة العليا، ومنها من يمشي على أربع؛ كبهائم الأنعام والفيلة وغيرها"[3].

---

(١) سورة النور، الآية ٤٥.

(٢) تفسير ابن كثير (٣/ ٣٠٩).

(٣) مقال "الله خلق كل دابة من ماء" للدكتور زغلول النجار، جريدة الأهرام المصرية، العدد (٤٢٨١٢)، تاريخ ٣/ ١/ ١٤٢٥هـ، الموافق ٢٣/ ٢/ ٢٠٠٤م.

ونجد الحافظ ابن كثير – رحمه الله – كما يفهم من كلامه السابق أدخل الطير ضمن الدواب، وهو ما ذهب إليه القرطبي والدميري وجَمْعٌ من أهل اللغة والتفسير[1]، وخالفهم في ذلك بعض أهل اللغة والتفسير؛ كالإمام الطبري في تفسيره حيث نص على خروج الطير من الدَّواب في قوله: "الدَّابَّة اسم لكل ذي رُوح كان غير طائر بجناحيه، لدبيبه على الأرض"[2]، وهو ما يفهم أيضاً من كلام الرازي في تفسيره[3]، وكلاهما انطلق من قول الله تعالى:﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ﴾[4].

قال القرطبي رحمه الله: "ودابَّة تجمع الحيوان كله؛ وقد أخرج بعض الناس الطير، وهو مردود؛ قال الله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾[5]، فإنَّ الطير يدبُّ على رجليه في بعض حالاته؛ قال الأعشى:

دبِيبُ قَطا البَطْحاء في كلِّ مَنْهَل

وقال علقمة بن عبدة:

صواعِقُها لطيرهِنَّ دَبيبُ"[6].

وقال القرطبي – أيضاً – عند قوله تعالى:﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلا طَائِرٍ

---

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢/ ١٣٢)، وحياة الحيوان للدميري (١/ ٤٤٩)، والمصباح المنير للفيومي (ص ١٠٠).

(٢) تفسير الطبري (٣/ ٢٧٥).

(٣) انظر: التفسير الكبير للرازي (٦/ ٢١٢ – ٢١٣).

(٤) سورة الأنعام، الآية ٣٨.

(٥) سورة هود، الآية ٦.

(٦) الجامع لأحكام القرآن (٢/ ١٣٢).

يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ﴾[1]: " ودابَّة تقع على جميع ما دبَّ، وخص بالذكر ما في الأرض دون السماء لأنه الذي يعرفونه ويعاينوه "[2].

وقال الدميري: " وقد أخرج بعض الناس منها الطير لقوله تعالى:﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ﴾[3]، ورد بقوله تعالى:﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾[4] ... ولأنَّ الطير يدبُّ على الأرض برجليه في بعض حالاته؛ قال الأعشى:

بنات كغصن البان ترتج إنْ مشتْ   دبِيبُ قَطا البَطْحاء في كلِّ مَنْهَل"[5].

وقال أبو حيان عن الآية السابقة التي استدل بها من أخرج الطير من الدَّواب: " هي عامّة تشمل كل ما يدبُّ فيندرج فيها الطائر، فذِكْرُ الطائر بعد ذكر الدَّابَّة تخصيص بعد تعميم، وذكْرُ بعضٍ من كلٍّ، وصار من باب التجريد كقوله: ﴿وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ﴾[6] بعد ذكر الملائكة. وإنما جرد الطائر لأن تصرفه في الوجود دون غيره من الحيوان أبلغ في القدرة وأدل على عظمها من تصرف غيره من الحيوان في الأرض "[7].

---

(١) سورة الأنعام، الآية ٣٨.

(٢) الجامع لأحكام القرآن (٦/ ٢٧٠).

(٣) سورة الأنعام، الآية ٣٨.

(٤) سورة هود، الآية ٦.

(٥) حياة الحيوان (١/ ٤٤٩).

(٦) سورة البقرة، الآية ٩٨.

(٧) البحر المحيط (٤/ ١١٩).

ودابَّة الأرض المراد الحديث عنها في هذه الدراسة هي الدَّابَّة الواردة في قوله تعالى:﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لا يُوقِنُونَ﴾[1]، وهي الواردة أيضاً في أحاديث الساعة وأشراطها، وهي دابَّة من جنس الحيوان تخرج من الأرض لا من السماء كما نصت عليه الآية الكريمة، خلقها وخروجها يكون أمراً معجزاً عجيباً مهولاً، تقوم بأعمال ووظائف عدة سيأتي الحديث عنها وعما يتعلق بها بين تضاعيف هذه الدراسة بإذن الله تعالى.

(١) سورة النمل، الآية ٨٢.

المبحث الثاني

الأدلة الدالة على خروج الدَّابَّة

إنَّ الاعتقاد بظهور دابَّة الأرض وخروجها منها في أواخر الزمان عند قرب قيام الساعة، وأنَّ ذلك يعدُّ شرطاً من أشراطها الكبرى ثابت بكتاب الله تبارك وتعالى، وسنة المصطفى ﷺ، وهو مجمع عليه عند سلف الأمة؛ من الصحابة والتابعين، ومن اقتفى أثرهم من علماء الملة والدين.

أمَّا كتاب الله تعالى فقد وردت فيه آية واحدة فقط مصرحة بخروجها عند قرب الساعة بعد وقوع الفساد والتبديل والانحراف، وهي قوله تعالى في سورة النمل:﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لا يُوقِنُونَ﴾[1].

وعن سنة المصطفى - صلوات ربي وسلامه عليه - فقد ورد في ذكر أمرها العديد من الأحاديث النبوية الصحيحة؛ التي رواها أهل الحديث في مصنفاتهم، ومنها:

أولاً: حديث أبي هريرة ﷺ؛ وفيه أنَّ النبي ﷺ قال: "بادروا بالأعمال ستاً: طلوع الشمس من مغربها، أو الدخان، أو الدَّجال، أو الدَّابَّة، أو خاصة أحدكم[2]، أو

---

(١) سورة النمل، الآية ٨٢.

(٢) خاصة أحدكم أو "خويصة أحدكم" بالتصغير كما في الرواية الأخرى يقصد بها: حادثة الموت التي تخص كل إنسان. وذكر ابن الأثير عن رواية التصغير: أنها صغرت بخويصة لاحتقارها في جنب ما بعدها من البعث والعرض والحساب وغير ذلك.

انظر: النهاية في غريب الحديث لابن الأثير (٢/ ٣٧)، وشرح النووي على صحيح مسلم (١٨/ ٨٧).

أمر العامة[1]".

وفي رواية: "بادروا بالأعمال ستاً: الدَّجال، والدخان، ودابَّة الأرض، وطلوع الشمس من مغربها، وأمر العامة، وَخُوَيْصةَ أحدكم"[2].

ثانياً: حديث أبي سريحة حذيفة بن أسيد الغفاري ﷺ؛ وفيه يقول حذيفة: "اطَّلَعَ النبي ﷺ علينا ونحن نتذاكر فقال: ما تذاكرون ؟ قالوا: نذكر الساعة. قال: إنها لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات؛ فذكر: الدخان، والدَّجال، والدَّابَّة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى ابن مريم ﷺ، ويأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوف: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك؛ نار تخرج من اليمن، تطرد الناس إلى محشرهم".

وفي رواية: "كان النبي ﷺ في غرفة ونحن أسفل منه فاطَّلَعَ إلينا فقال: ما تذكرون ؟ قلنا الساعة. قال: إنَّ الساعة لا تكون حتى تكون عشر آيات: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف في جزيرة العرب، والدخان، والدَّجال، ودابَّة الأرض، ويأجوج ومأجوج، وطلوع الشمس من مغربها، ونار تخرج من قعرة عدن ترحل الناس"[3].

ثالثاً: حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما؛ وفيه يقول

---

(١) أمر العامة هو القيامة كما قاله قتادة، وقال السندي: "أي قبل أنْ يتوجه إليكم أمر العامة والرياسة؛ فيشغلكم عن صالح الأعمال".

انظر: شرح النووي على صحيح مسلم (١٨/ ٨٧)، وشرح سنن ابن ماجة للسندي (٢/ ٥٠١).

(٢) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب في بقية من أحاديث الدَّجال (٤/١٧٩٣، رقم ٢٩٤٧).

(٣) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب في الآيات التي تكون قبل الساعة (٤/ ١٧٦٣، رقم ٢٩٠١).

عبدالله: "حفظت من رسول الله ﷺ حديثاً لم أَنْسَهُ بعد. سمعت رسول الله ﷺ يقول: إنَّ أَوَّلَ الآيات خروجاً طلوع الشمس من مغربها، وخروج الدَّابَّة على الناس ضحىً، وأيهما ما كانت قبل صاحبتها فالأخرى على إِثْرِهَا قريباً"[1].

رابعاً: حديث أبي هريرة ﷺ؛ وفيه أنَّ رسول الله ﷺ قال: " ثلاث إذا خرجن لا ينفع نفساً إِيمَانُهَا لم تكن آمنت من قبل، أو كسبت في إيمانها خيراً: طلوع الشمس من مغربها، والدَّجال، ودابَّة الأرض"[2].

خامساً: حديث أبي أمامة الباهلي ﷺ؛ وفيه أنَّ النبي ﷺ قال: "تَخْرُجُ الدَّابَّة، فَتَسِمُ[3] الناس على خَرَاطِيمِهِمْ[4]، ثم يَغْمُرُونَ[5] فيكم، حتى يشتري الرجل البعير، فيقول: ممن اشتريته؟ فيقول: اشتريته من أحد الْمُخَطَّمِينَ[6]"[7].

---

(١) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب في خروج الدَّجال ومكثه في الأرض...(٤/ ١٧٨٧ – ١٧٨٨، رقم ٢٩٤٢).

(٢) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان (١/ ١٢٥، رقم ١٥٨).

(٣) الوسم هو: الأثر والعلامة، يقال: وسِمت الإبل، أي عُلِّمت بالكي.

انظر: النهاية في غريب الحديث لابن الأثير (٥/ ١٨٦)، والقاموس المحيط للفيروز أبادي (٤/ ١٨٦).

(٤) الخراطيم: جمع خرطوم، وهو الأنف، وقيل: مقدمة الأنف، وقيل: ما ضم عليه الرجل الحنكين، ومنه قوله تعالى: ﴿سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ﴾ [سورة القلم، آية ١٦] .

انظر: النهاية في غريب الحديث لابن الأثير (٢/ ٢٣)، ولسان العرب لابن منظور (١٢/ ١٧٣).

(٥) يَغْمُرُونَ: من الغمر وهو الجمع والكثرة، والمعنى يكثرون فيكم ويزدحمون، يقال: غمار الناس؛ أي: جمعهم المتكاثف، وغمر الماء الشيء؛ أي: كثر عليه الماء فغلبه وغطاه.

انظر: النهاية في غريب الحديث لابن الأثير (٣ / ٣٨٣–٣٨٤)، والقاموس المحيط للفيروز أبادي (٢/ ١٠٤).

(٦) المخطمين: جمع مخطم، والتخطيم هو الوسم، يقال: خطم البعير، إذا وسم بالكي على أنفه إلى وجهه، والخطم من كل دابة هو مقدم أنفها، وخطم البعير هو أنفه.

انظر: النهاية في غريب الحديث لابن الأثير (٢/ ٥٠)، ولسان العرب لابن منظور (١٢/ ١٨٦–١٨٨).

(٧) الحديث رواه أحمد في المسند (٥/ ٢٦٨)، والبخاري في التاريخ الكبير (٦/ ١٧٢)، وأبو نعيم في أخبار

سادساً: حديث أبي هريرة ﷺ؛ وفيه أنَّ النبي ﷺ قال: "تخرج الدَّابَّة، ومعها عصى موسى عليه السلام، وخاتم سليمان عليه السلام، فَتَخْطِمُ الكافر بالخاتم، وَتَجْلُو[1] وجه المؤمن بالعصا، حتى إنَّ أهل الْخِوَانِ[2] لَيَجْتَمِعُونَ على خِوَانِهِمْ، فيقول هذا: يا مؤمن، ويقول هذا: يا كافر"[3].

=

أصبهان (٢/ ١٢٤)، وابن جرير في تفسيره (٢٠/ ١٥)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٩/ ٢٩٢٣)، وابن الجعد في مسنده (١/ ٤٢٧)، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ٦) وقال: "رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح غير عبد الرحمن بن عطية، وهو ثقة"، والسيوطي في الدر المنثور (١١/ ٤٠٤)، وعزاه لابن مردويه، والألباني في صحيح الجامع (١/ ٥٦٤)، وقال عنه: "صحيح"، وفي السلسلة الصحيحة (١/ ٥٧٦)، وقال: "هذا إسناد صحيح رجاله كلهم ثقات معروفون غير عمر هذا...ولكن رواية مالك عنه تعديل له، فقد قال ابن معين: "كل من روى عنه مالك فهو ثقة إلا عبد الكريم". وكذلك قال ابن حبان. وكأن هذا هو مستند الهيثمي في توثيقه إياه".

(١) تجلو: من الجلي، يقال جلى الشيء إذا وضحه وبينه وكشفه، وجَلْوُ الوجه يقصد به إيضاحه وكشفه وإبرازه وتبييضه.

انظر: لسان العرب لابن منظور (١٤/ ١٤٩ – ١٥٣).

(٢) الخوان: كلمة معربة، وهو ما يوضع عليه الطعام عند الأكل.

انظر: النهاية في غريب الحديث لابن الأثير (٢/ ٨٩)، ولسان العرب لابن منظور (١٣/ ١٤٦).

(٣) الحديث رواه الطيالسي في مسنده (ص ٣٣٤)، وأحمد في مسنده (٢/ ٢٩٥، ٤٩١)، والترمذي في جامعه، كتاب التفسير، باب ومن سورة النمل (٥/ ٣١٧–٣١٨، رقم٣١٨٧)، وقال: "هذا حديث حسن غريب"، وابن ماجة في السنن، كتاب الفتن، باب دابَّة الأرض (٢/ ١٣٥١–١٣٥٢، رقم ٤٠٦٦)، وإسحاق بن راهويه في مسنده (١/ ٤٤٢)، ونعيم بن حماد في الفتن (٢/ ٦٦٥)، والفاكهي في أخبار مكة (٤/ ٤٣ – ٤٤)، والطبري في تفسيره (٢٠/ ١٦)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٩/ ٢٩٢٣)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٤٨٥–٤٨٦)، وسكت عنه، كما سكت عنه الذهبي في التلخيص، والبغوي في معالم التنزيل (٣/ ٤٢٩)، والحديث صحح إسناده الشيخ أحمد شاكر في شرحه للمسند (١٥/ ٧٩ – ٨١)، وأورده الألباني في عدد من كتبه ففي ضعيف الجامع (ص٣٥٦) قال عنه: "ضعيف"، وفي السلسلة الضعيفة (٣/ ٢٣٣ – ٢٣٤) قال: "منكر"، وأعله في الضعيفة بعلتين موجودتين في الإسناد؛ أولاهما: أوس بن خالد، حيث ذكر عن ابن القطان أنَّ أحاديث أوس بن خالد عن أبي هريرة منكرة، كما ذكر عن الحافظ

=

وقد ذكر علماء أهل السنة قديماً وحديثاً في تضاعيف كتبهم وعقائدهم - وذلك بناء على ما ورد في الكتاب والسنة من خروج الدَّابَّة وظهورها في أواخر الزمان - وجوب الإيمان والتصديق بخروجها وظهورها للناس، وأنَّ خروجها حق، وأمر خارق للعادة، يجب التسليم به، وأنَّ لها أعمالاً ووظائف تقوم بها، وقد نقل الأشعري وابن أبي زيد القيرواني والكتاني – رحمهم الله - إجماع علماء الأمة على ذلك[1]، وذكر شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله - أنَّ خروجها يعدُّ من معجزات الأنبياء وأدلة صدقهم[2].

قال الإمام الطحاويّ - رحمه الله – وهو يقرر في عقيدته الشهيرة معتقد أهل السنة والجماعة: "ونؤمن بأشراط الساعة؛ من: خروج الدَّجال، ونزول عيسى ابن مريم ﵇ من السماء، ونؤمن بطلوع الشمس من مغربها، وخروج دابَّة الأرض من موضعها"[3].

وقال الإمام أبو الحسن الأشعري – رحمه الله – في الإجماع الثاني والأربعين من إجماعات أهل السنة وسلف الأمة في أمور الاعتقاد: "وأجمعوا على أنَّ شفاعة النبي ﷺ لأهل الكبائر من أمته، وعلى أنه يخرج من النار قوماً من أمته بعدما صاروا حمماً،

=

أنه يقول بجهالته، والثانية: ضعف علي بن زيد بن جدعان.

بينما نجد الشيخ أحمد شاكر يذهب إلى أنَّ أوس بن خالد تابعي ثقة، وأنه سمع من أبي هريرة ﵁، وذكر أنَّ الحافظ ابن حجر خلط بين أوس بن عبد الله الربعي، وأوس بن خالد، وأنَّ البخاري وابن أبي حاتم فرقا بينهما، وذكرا أنه سمع من أبي هريرة، ورد أحمد شاكر قول من قال بضعف علي بن زيد، وذهب إلى أنه مختلف فيه وأنه ثقة عنده.

(١) انظر: رسالة إلى أهل الثغر للأشعري (ص ٢٨٨-٢٩٢)، واجتماع الجيوش الإسلامية لابن القيم (ص ٨٢-٨٦)، ونظم المتناثر للكتاني (ص ٢٣٠).

(٢) انظر: النبوات (ص ٢١١).

(٣) العقيدة الطحاوية (٢/ ٧٥٤).

فيطرحون في نهر الحياة ... وعلى أنَّ الإيمان بما جاء من خبر الإسراء بالنبي إلى السماوات واجب، وكذلك ما روي من خبر الدَّجال، ونزول عيسى ابن مريم، وقتله الدَّجال، وغير ذلك من سائر الآيات التي تواترت الرواية بين يدي الساعة؛ من طلوع الشمس من مغربها، وخروج الدَّابَّة، وغير ذلك مما نقله إلينا الثقات عن رسول الله وعرفونا صحته"[1].

وقال الإمام أبو محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني؛ المعروف بمالك الصغير: تحت فصل في بيان ما اجتمعت عليه الأمة من السنن؛ وذلك فيما نقله عنه العلامة ابن القيم رحمه الله: "فيما اجتمعت عليه الأمة من أمور الديانة من السنن التي خلافها بدعة وضلالة: إنَّ الله سبحانه وتعالى اسمه له الأسماء الحسنى والصفات العلى ... والإيمان بما جاء من خبر الإسراء بالنبي إلى السماوات، على ما صحت به الروايات، وأنه رأى من آيات ربه الكبرى، وبما ثبت من خروج الدَّجال، ونزول عيسى ابن مريم - عليه الصلاة والسلام - حكماً عدلاً يقتل الدَّجال، وبالآيات التي بين يدي الساعة؛ من طلوع الشمس من المغرب، وخروج الدَّابَّة، وغير ذلك مما صحت به الروايات، ونصدق بما جاءنا عن الله تعالى في كتابه، وثبت عن رسول الله وأخباره، ونوجب العمل بمحكمه، ونؤمن ونقر بمشكله ومتشابهه، ونكل ما غاب عنا من حقيقة تفسيره إلى الله تعالى، والله يعلم تأويل المتشابه من كتابه، والراسخون في العلم يقولون آمنا به، وكل ما غاب عنا من حقيقة تفسيره كل من عند ربنا"[2].

وقال القاضي عياض – رحمه الله – معلقاً على قول النبي ﷺ "ثلاث إذا خرجن لا ينفع نفساً إيمانها..." الوارد في حديث أبي هريرة ﷺ السابق ذكره: "هذا الحديث على ظاهره عند أهل الحديث والفقه والمتكلمين من أهل السنة خلافاً لما

---

(١) رسالة إلى أهل الثغر (ص ٢٨٨ – ٢٩٢).

(٢) انظر: اجتماع الجيوش الإسلامية (ص ٨٢ – ٨٦).

تأولته الباطنية"[1].

وقال الإمام نجم الدين الطوفي - رحمه الله - عند شرحه لآية النمل التي ذكر فيها أمر الدَّابَّة: "هذه من غائبات القرآن الواجب وقوعها، ومن معجزات النبي ﷺ وإخباره بالغائبات؛ التي لا بد من وجودها"[2].

وقال العلامة الصديق حسن خان رحمه الله: "ويجب الإيمان بكل ما أخبر النبي ﷺ، وصح به الخبر عنه، مما شهدناه، أو غاب عنا أنه صدق وحق، سواء في ذلك ما عقلناه، أو جهلناه، ولم نطلع على حقيقة معناه، وكان يقظة لا مناماً، ومن ذلك: أشراط الساعة، وأنَّ الدَّجال الأعور خارج في هذه الأمة لا محالة، كما أخبر به النبي ﷺ، لا شك في ذلك ولا ارتياب، وهو أكذب الكاذبين ... وتطلع الشمس من مغربها، وتخرج الدَّابَّة والنار، وأشباه ذلك مما صح به النقل، وأنَّ الساعة آتية لا ريب فيها، وأنَّ الله يبعث من في القبور، ومن أنكر قيام الساعة والحشر فقد كفر بالله العظيم، وخرج عن ملة الإسلام"[3].

---

(١) انظر: شرح النووي على مسلم (٢/ ١٩٥).

(٢) الإشارات الإلهية إلى المباحث الأصولية (٣/ ٨٨).

(٣) قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر (ص ١٢٧ - ١٢٩).

المبحث الثالث

أقوال الناس في الدَّابَّة

قبل الكلام عن أقوال العلماء والناس في تعيين الدَّابَّة والكلام عن حقيقتها، وبيان من أي دواب الأرض هي؛ لابد أنْ يُعْلَمَ أنَّ المجزوم به والذي يجب اعتقاده: أنَّ الله - سبحانه وتعالى - سيُخْرِج دابَّة من دواب الأرض، من جنس الحيوان لا من جنس الإنسان، لم يرد في النصوص الصحيحة أنها من الدَّواب المعهودة، فهي مباينة لأصناف الدَّواب الموجودة، منفردة بنفسها، تخرج من بقعة من بقاع الأرض، اشتهر أنها مكة، قرب قيام الساعة، تُكلِّم الناس حقيقة، وتذكرهم بآيات ربهم، وتَسِمُهم؛ فيُعْرَف مؤمنهم وكافرهم، وأنها عظيمة في تكوينها، وفيما يَصْدُر عنها، مقارنة في عظمها لطلوع الشمس من مغربها، ونزول مسيح الهدى، وخروج مسيح الضلال وموته.

وأمَّا عن الأقوال في بيان حقيقة الدَّابَّة وتعيينها ومن أي دواب الأرض هي، فقد اختلفت أقوال الناس في ذلك كثيراً، ابتعدت أقوال بعضهم كل البعد عن هدي السلف ومنهجهم في أمور الغيبيات، فوقعت في التأويلات الباطنية الباطلة المنحرفة؛ التي لم تعتمد في قولها ونهجها على سنة أو كتاب، وكانت أقوال الناس في حقيقة الدَّابَّة وتعيينها كالتالي:

القول الأول: إنَّ الدَّابَّة هي فصيل ناقة نبي الله صالح عليه السلام.

وذهب إلى هذا القول وصححه الإمام القرطبي – رحمه الله – حيث قال عنه: " وهو أصحها والله أعلم "(١).

وقال أيضاً: " ولقد أحسن من قال:

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٣/ ١٥٦).

واذكر خروج فصيل ناقة صالح تسم الورى بالكفر والإيمان "[1].

واستدل - رحمه الله - لقوله[2] بما رواه أبو داود الطيالسي في مسنده، عن أبي سريحة حذيفة بن أسيد الغفاري ﷺ أنه قال: ذكر رسول الله ﷺ الدَّابَّة فقال: " لها ثلاث خرجات من الدهر؛ فتخرج في أقصى البادية، ولا يدخل ذكرها القرية - يعني مكة - ثم تكمن زماناً طويلاً، ثم تخرج خرجة أخرى دون ذلك، فيفشو ذكرها في البادية، ويدخل ذكرها القرية - يعني مكة - قال رسول الله ﷺ: " ثم بينما الناس في أعظم المساجد على الله حرمة خيرها وأكرمها على الله المسجد الحرام لم يرعهم إلا وهي ترغو بين الركن والمقام، تنفض عن رأسها التراب؛ فارفض الناس منها شتى ومعاً، وتثبت عصابة من المؤمنين، وعرفوا أنهم لم يعجزوا الله، فبدأت بهم، فجلت وجوههم حتى جعلتها كأنها الكوكب الدري، وولت في الأرض، لا يدركها طالب، ولا ينجو منها هارب، حتى إنَّ الرجل ليتعوذ منها بالصلاة فتأتيه من خلفه فتقول: يا فلان الآن تصلي، فتقبل عليه فتَسِمُه في وجهه ثم تنطلق، ويشترك الناس في الأموال، ويصطحبون في الأمصار، يُعْرَفُ المؤمن من الكافر، حتى إنَّ المؤمن يقول: يا كافر! اقضني حقي، وحتى إنَّ الكافر يقول: يا مؤمن! اقضني حقي "[3].

---

(١) التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة (٣/ ١٣٤٠).

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن (١٣/ ١٥٦)، والتذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة (٣/ ١٣٣٢-١٣٣٣).

(٣) الحديث رواه بهذا السياق الطيالسي في مسنده (ص ١٤٤) من طريق فيه طلحة بن عمرو، ورواه أيضاً من الطريق نفسه بلفظ مقارب: نعيم بن حماد في الفتن (٢/ ٦٦١ - ٦٦٢)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٩/ ٢٩٢٣)، والفاكهي في أخبار مكة (٤/ ٣٨ - ٣٩)، والطبراني في المعجم الكبير (٣/ ١٧٣)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٤٨٤) وقال: " هذا حديث صحيح الإسناد، وهو أبين حديث في ذكر دابة الأرض، ولم يخرجاه "، وتعقب الذهبي تصحيح الحاكم فقال: " طلحة ضعفوه، وتركه أحمد"، وذكره البغوي في معالم التنزيل (٣/ ٤٢٩)، وقال ابن كثير في النهاية في الفتن والملاحم (١/ ٢١١) بعد ما ساق الحديث: " وهكذا رواه مرفوعاً من هذا الوجه بهذا السياق؛ وفيه غرابة "، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد =

وشاهد القرطبي فيما ذهب إليه هو ما ورد في الحديث من رغاء الدَّابَّة بين الركن والمقام، حيث ذكر أنَّ الرغاء إنما هو للإبل فقط.

قال رحمه الله: "وموضع الدليل من هذا الحديث أنه الفصيل قول: "وهي ترغو"، والرغاء إنما هو للإبل، وذلك أنَّ الفصيل لما قُتِلت الناقة هرب فانفتح له حجر فدخل في جوفه ثم انطبق عليه[1]، فهو فيه حتى يخرج بإذن الله عز وجل"[2].

وما استدل به القرطبي –رحمه الله– في كلامه السابق لا يستقيم، وذلك من أوجه عدة:

أولها: إنَّ الرغاء هو صوت الإبل على المشهور[3]؛ لكن قد يطلق الرغاء على غير الإبل، فقد يطلق على صوت الضباع والنعام، وبعض أنواع الطيور، كما ذكره أهل اللغة.

قال ابن منظور: "الرغاء: صوت ذوات الخف...الرغاء: صوت البعير. رغاء

=

(٧/٨) وعزاه للطبراني وقال: "وفيه طلحة بن عمرو، وهو متروك"، وقال الحافظ ابن حجر عن طلحة ابن عمرو الذي عليه مدار الحديث في التهذيب (٥/ ٢١) : "قال أحمد: لا شيء، متروك الحديث. وقال ابن معين: ليس بشيء، ضعيف. وقال الجوزجاني: غير مرضي في حديثه. وقال أبو حاتم: ليس بقوي، لين عندهم ...".

(١) انظر في الحديث عن الناقة وفصيلها ما ذكره الحافظ ابن كثير في تفسيره (٢/ ٢٣٦–٢٣٩) عند تفسيره للآية ٧٣ من سورة الأعراف، وهي قوله تعالى: ﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّـهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّـهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّـهِ وَلا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

(٢) الجامع لأحكام القرآن (١٣/ ١٥٦)، وانظر: التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة (٣/ ١٣٤٠).

(٣) انظر: النهاية في غريب الحديث لابن الأثير (٢/ ٢٤٠).

البعير، والناقة ترغو رغاء: صوتت فضجت، وقد قيل ذلك للضباع والنعام"[1].

ثانياً: إنَّ آية النمل التي ذُكرت فيها دابَّة الأرض عامة، لم يُذكر فيها من أي دواب الأرض هي.

ثالثاً: لم يثبت في أي حديث من الأحاديث الصحيحة عن النبي ﷺ أنَّ الفصيل هو الدَّابَّة.

رابعاً: إنَّ الحديث الذي استشهد به القرطبي – رحمه الله - ضعيف لا يثبت، تكلم في صحته وثبوته أهل الاختصاص والفن.

خامساً: إنَّ الحديث الذي استشهد به القرطبي على فرض القول بصحته عام لم يُحدد فيه كنه الدَّابَّة وأنها فصيل ناقة صالح، وما ذكر في وصفها أنها ترغو، لا يستدل به على خصوصية ذلك بالإبل كما تقدم، فالرغاء صوت يشترك فيه الإبل مع غيره من الدَّواب، وقد وصف الدميري قول القرطبي واستشهاده برغاء البعير بالغريب[2].

سادساً: إنَّ العبارة التي اعتمد عليها القرطبي وهي "ترغو" جاءت عند الطيالسي في مسنده بلفظ "ترغو" في حين هي عند نعيم بلفظ "يربو"، وعند الحاكم بلفظ "تدنو أو تربو"، وعند الطبراني بلفظ "تربو"، وعند البغوي بلفظ "تدنو وتدنو"، علماً بأنَّ مدار الأسانيد كلها واحد، فكلهم روى الحديث من طريق عمرو بن طلحة.

سابعاً: إنَّ الآيات الكريمات التي تكلمت عن معجزة الناقة لم تنص من قريب أو بعيد إلى أنها هي أو فصيلها كلَّم الناس، وأنها ستخرج في أواخر الزمان عند قرب

---

(١) لسان العرب (١٤/ ٣٢٩)، وانظر أيضاً: المخصص لابن سيده (٧/ ٧٧)، (٨/ ٧٢، ١٦٠)، والقاموس المحيط للفيروز أبادي (٤/ ٣٣٥).

(٢) انظر: حياة الحيوان للدميري (١/ ٤٥٩).

قيام الساعة تسم الناس، وتكلمهم، والله تعالى أعلم.

القول الثاني: إنَّ الدَّابَّة هي الجسَّاسة[1]؛ التي تجس الأخبار للمسيح الـدَّجال؛ التي ورد ذكرها في حديث تميم الداري ﷺ المشهور في ذكر الدَّجال، الذي رواه مسلم وغيره عن فاطمة بنت قيس رضي الله عنها، وفيه: أنَّ فاطمة ذكرت أنَّ الـنبي ﷺ جمع الناس للصلاة، وبعد أنْ صلى بهم، جلس على المنبر وضحك وقال: "ليلزم كل إنسان مصلاه، ثم قال: أتدرون لم جمعتكم، قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: إني والله ما جمعتكم لرغبة ولا لرهبة؛ ولكن جمعتكم لأنَّ تميماً الداري كان رجلاً نصرانياً فجاء فبايع وأسلم، وحدثني حديثاً وافق الذي كنت أحدثكم عن مسيح الـدَّجال، حدثني: أنه ركب في سفينة بحرية مع ثلاثين رجلاً من لخم وجذام فلعب بهم الموج شهراً في البحر، ثم أرفئوا إلى جزيرة في البحر حتى مغرب الشمس، فجلسوا في أقرب السفينة، فدخلوا الجزيرة فلقيتهم دابة أهلب كثير الشعر، لا يدرون ما قبله من دبره من كثرة الشعر، فقالوا: ويلك ما أنت ؟! فقالت: أنا الجسَّاسة، قالوا: وما الجسَّاسة ؟ قالت: أيها القوم انطلقوا إلى هذا الرجل في الدير، فإنه إلى خبركم بالأشواق، قال: لما سَمَّتْ لنا رجلاً فرقنا منها أنْ تكون شيطانة، قال: فانطلقنا سراعاً حتى دخلنا الدير، فإذا فيه أعظم إنسان رأيناه قط خلقاً، وأشده وثاقاً، مجموعة يداه إلى عنقه ما بين ركبتيه إلى كعبيه بالحديد، قلنا: ويلك ما أنت ؟ قال: قد قدرتم على خبري، فأخبروني ما أنتم ؟ قالوا: نحن أناس من العرب، ركبنا في سفينة بحرية، فصادفنا البحر حين اغتلم فلعب بنا الموج شهراً، ثم أرفأنا إلى جزيرتك هذه، فجلسنا في أقربها، فدخلنا الجزيرة، فلقيتنا دابة أهلب كثير الشعر، لا يدرى ما قبله من دبره من كثرة الشعر، فقلنا: ويلك ما

---

(١) الجسَّاسة: بفتح الجيم، وتشديد السين المهملة الأولى، دابَّة في جزائر البحر، تجس الأخبار وتأتي بها للدجال، وسميت بذلك لأنها تجس الأخبار وتأتي بها للدجال.

انظر: النهاية في غريب الحديث لابن الأثير (١/ ٢٧٢)، وحياة الحيوان للدميري (١/ ٢٧٧).

أنت ؟! فقالت: أنا الجسَّاسة، قلنا: وما الجسَّاسة ؟ قالت: اعمدوا إلى هـذا الرجـل في الدير، فإنه إلى خبركم بالأشواق، فأقبلنا إليك سراعاً، وفزعنا منها، ولم نأمنْ أنْ تكون شيطانة... "[1].

وهذا القول نسبه القرطبي؛ صاحب "الجامع لأحكام القرآن" لعبد الله بن عمر[2]، ونسبه كل من: ابن قتيبة، والقرطبي؛ صاحب "المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم"، والدميري، والسفاريني، والسخاوي، والألوسي، وحافظ حكمي لعبد الله بن عمرو بن العاص[3]، ونسبه النووي لعبد الرحمن بن عمرو بن العاص[4]؛ ويظهر لي أنه وقع لبس أو تصحيف في كتاب النووي، وأنَّ المقصود بصاحب القول عبد الله بن عمرو بن العاص لا عبد الرحمن بن عمرو بن العاص.

والقول بأنَّ الجسَّاسة هي الدَّابَّة اختاره وجزم به كل من: الزمخشري، والنسفي، والبيضاوي[5].

وهذا القول مع قوته، ومع ما جاء في وصف الجسَّاسة من إعجاز؛ متمثل في عظم خلقها، وفي حديثها وكلامها للناس الذين شاهدتهم؛ لا يوجد من نصوص

---

(١) الحديث رواه بطوله الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب قصة الجسَّاسة (٤/ ١٧٨٨ – ١٧٩٠، رقم ٢٩٤٢).

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن (١٣/ ١٥٦).

(٣) انظر: غريب الحديث لابن قتيبة (٢/ ٦٠٤)، والمفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم للقرطبي (٧/ ٢٤٠)، وحياة الحيوان للدميري (١/ ٢٧٧)، ولوامع الأنوار للسفاريني (٢/ ١٤٩)، والقناعة فيما يحسن الإحاطة من أشراط الساعة للسخاوي (ص ٧٠)، وروح المعاني للألوسي (٢٠/ ٢٣)، ومعارج القبول لحافظ حكمي (٢/ ٩٤).

(٤) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم (١٨/ ٢٧ – ٢٨) فقد عزي القول هنا لابن عمرو بن العاص، وعزي القول في (١٨/ ٧٨) لعبد الرحمن بن عمرو بن العاص.

(٥) انظر: الكشاف للزمخشري (٣/ ١٥٢)، ومدارك التنزيل وحقائق التأويل للنسفي (٢/ ٦٢١)، وتفسير البيضاوي (٤/ ٢٧٨).

الكتاب والسنة الصحيحة ما ينص عليه ويعضده، وكل ما ورد في أمر هذه الدَّابَّة العظيمة الشأن أنها موكلة بجس الأخبار، ونقلها للمسيح الدَّجال، وتلك لها أعمال أخرى لم ترد في حديث الجسَّاسة هذه؛ سيأتي ذكرها - بإذن الله تعالى - في مبحث مستقل، والله تعالى أعلم.

القول الثالث: إنَّ الدَّابَّة هي الحية أو الثعبان المشرف على جدار الكعبة حين أرادت قريش بناء الكعبة، الذي اقتلعه العقاب من على الجدار، ورمى به في أجياد[1]، وقيل: في الحجون[2].

قال ابن إسحاق: "قال الزبير بن عبد المطلب، فيما كان من أمر الحية التي كانت قريش تهاب بنيان الكعبة لها:

عَجِبْتُ لِمَا تَصَوّبَتْ الْعُقَابُ ... إلَى الثّعْبَانِ وَهِيَ لَهَا اضْطِرَابُ

وَقَدْ كَانَتْ يَكُونُ لَهَا كَشِيشٌ ... وَأَحْيَانًا يَكُونُ لَهَا وِثَابُ

إذَا قُمْنَا إلَى التّأْسِيسِ شَدّتْ ... تُهَيّبُنَا الْبِنَاءَ وَقَدْ تُهَابُ

فَلَمّا أَنْ خَشِينَا الرّجْزَ جَاءَتْ ... عُقَابٌ تَتْلَئِبّ لَهَا انْصِبَابُ

فَضَمّتْهَا إلَيْهَا ثُمّ خَلّتْ ... لَنَا الْبُنْيَانَ لَيْسَ لَهُ حِجَابُ

---

(١) أجياد: موضع بأسفل مكة جنوب المسجد الحرام، يعتبر شعب من شعابها، يوجد فيه جبل مشهور، ويسمى أيضاً جِياد بكسر الجيم، وحذف الهمزة.
انظر: النهاية في غريب الحديث لابن الأثير (١/ ٢٧، ٣٢٤)، ومعجم البلدان لياقوت الحموي (١/ ١٠٤-١٠٥)، وموسوعة المدن العربية والإسلامية ليحيى شامي (ص٤٥).

(٢) الحجون: جبل في أعلى مكة، شمال شرق المسجد الحرام، عنده مدافن أهلها.
انظر: معجم البلدان لياقوت الحموي (٢/ ٢٢٥)، وموسوعة المدن العربية والإسلامية ليحيى شامي (ص ٤٥).

فَقُمْنَا حَاشِدِينَ إِلَى بِنَـــاءٍ لَنَا مِنْهُ الْقَوَاعِدُ وَالتّـــرَابُ
غَدَاةَ نَرْفَعُ التّأْسِيسَ مِنْـــهُ وَلَيْسَ عَلَى مُسَوّينَا ثِيَـــابُ
أَعَزّ بِهِ الْمَلِيكُ بَنِي لُـــؤَيّ فَلَيْسَ لِأَصْلِهِ مِنْهُمْ ذَهَـــابُ
وَقَدْ حَشَدَتْ هُنَاكَ بَنُو عَدِيّ وَمُرّةُ قَدْ تَقَدّمَهَـــا كِلَابُ
فَبَوّأَنَا الْمَلِيكُ بِذَاكَ عِـــزّا وَعِنْدَ اللّهِ يُلْتَمَسُ الثّوَابُ"[1].

وهذا القول نسبه الفاكهي والسخاوي لابن عباس رضي الله تعالى عنهما[2]، ونسبه له أيضاً كل من: ابن عطية، والقرطبي؛ صاحب "الجامع لأحكام القرآن"، وذكرا أنَّ النقاش نسبه له[3]، كما نسبه لابن عباس القرطبي؛ صاحب " المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم "[4]، والدميري، وقد ذكر أنَّ محمد بن الحسن المقري يقول به في تفسيره، وأنه عزاه لابن عباس، ثم وهَّن الدميري هذا القول، وقال عنه: " غريب "[5]، وهو بلا شك قول غريب، لا يوجد عليه دليل صحيح من كتاب أو سنة يعتمد ويعول عليه، والله أعلم.

وقد نسبه لابن عباس أيضاً السفاريني، وذكر كلاماً لابن عبد البر في التمهيد معزواً لعمرو بن دينار؛ يفهم منه: أنَّ عمرو بن دينار يقول: إنَّ الدَّابَّة التي تكلم الناس

---

(١) انظر: سيرة ابن هشام (١/ ١٩٨). وينظر في الثعبان وخبره أيضاً: أخبار مكة للأزرقي (١/ ١١٤)، والتمهيد لابن عبد البر (١٠/ ٣٥ – ٤٢).

(٢) انظر: أخبار مكة للفاكهي (٤/ ٣٧ – ٣٨)، والقناعة فيما يحسن الإحاطة من أشراط الساعة للسخاوي (ص ٧٠).

(٣) انظر: المحرر الوجيز لابن عطية (١٢/ ١٣٢)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٣/ ١٥٦)، والتذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة للقرطبي (٣/ ١٣٣٦).

(٤) انظر: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٧/ ٢٤٠).

(٥) انظر: حياة الحيوان (١/ ٤٥٩).

هي الثعبان الملقى في أجياد، وأنه يخرج من الصفا[1].

وكلام السفاريني حسب ما وقفت عليه في التمهيد ليس بدقيق، فقد ذكر ابن عبد البر في التمهيد خبر عمرو بن دينار في الثعبان فقط، وأنه ملقى في أجياد من قبل الطائر، ولم يتطرق لأمر الدَّابَّة البتة[2]، وهو ما ذكره الأزرقي أيضاً عن ابن دينار[3].

والقول بأنَّ الدَّابَّة هي الثعبان ذكره الشوكاني أيضاً في تفسيره دون عزو لأحد[4]، وهذا القول كما تقدم لا يوجد عليه دليل صحيح من كتاب أو سنة يعتد به، والله تعالى أعلم.

القول الرابع: إنَّ الدَّابَّة هي عصى نبي الله موسى عليه السلام الشهيرة، وهذا القول حكاه ابن كثير دون عزو لقائل في أثناء حديثه عن عصى نبي الله موسى عليه السلام، وردَّ عليه ابن كثير نفسه بوصفه أنه من الإسرائيليات[5].

وهو قول ليس بصحيح، يفتقر لدليل صحيح صريح من كتاب أو سنة يعول عليه.

كما أنَّ الدَّابَّة المذكورة في الآية والأحاديث هي حيوان وليس بجماد.

ولو قيل: إنَّ هذا الجماد بعث الله فيه الحركة كما في قصة موسى عليه السلام مع السحرة.

لقيل: نعم العصى وما قامت به من أعمال تعدُّ آية ومعجزة من المعجزات التي أجراها الله تعالى على يد نبي الله وكليمه موسى عليه السلام؛ ولكن الذي ورد في ذكر

---

(١) انظر: لوامع الأنوار (٢/ ١٤٩).

(٢) انظر: التمهيد لابن عبد البر (١٠/ ٣٩).

(٣) انظر: أخبار مكة (١/ ١١٤).

(٤) انظر: فتح القدير (٤/ ١٥١).

(٥) انظر: تفسير ابن كثير (٣/ ١٥٢).

أمر العلامة التي معنا هنا أنها دابَّة من دواب الأرض، من جنس الحيوان، لا من جنس الجماد، ثم إنَّ أصل الدَّابَّة في لغة العرب - كما تقدم - يطلق على كل ما دبَّ على الأرض من الحيوان لا الجماد، وما أُدْخِل من الجمادات في مصطلح الدَّابَّة كالسيارات والقطارات الموجودة اليوم هو من باب التجوز، والله أعلم.

القول الخامس: إنَّ الدَّابَّة من نسل إبليس، وعلى هذا القول تكون الدَّابَّة من الجن لا من الإنس أو الحيوان أو غيرهما، وقد حكى القول بأنَّ الدَّابَّة من نسل إبليس الحافظ ابن كثير - رحمه الله- قائلاً في آخر قوله: "الله أعلم بصحته"[1]، كما ذكر أنَّ مستند هذا القول هو حديث ابن مسعود عند نعيم بن حماد في الفتن[2].

وحديث ابن مسعود الذي ذكره الحافظ لم يتطرق لما ذكره من أنَّ الدَّابَّة من نسل إبليس، والذي تطرق له الحديث أنَّ الدَّابَّة هي قاتلة إبليس أو خاطمته، وذلك حسب ما وقفت عليه في الفتن لنعيم، أو حسب نص الحديث الذي ذكره الحافظ في كتابه مطولاً[3].

فالقول إذاً ليس له مستند صحيح يعول عليه، كما أنَّ الوارد في ذكر الدَّابَّة يعارض ذلك، فهي دابَّة من الأرض، من جنس الحيوان تكون، لا من جنس الجن أو غيرهم.

القول السادس: إنَّ الدَّابَّة ليست بحيوان بل هي إنسان متكلم يناظر المخالفين من أهل البدع والكفر ويجادلهم؛ لينقطعوا، فيهلك من هلك عن بينة، ويحيا من حيّ

---

(١) النهاية في الفتن والملاحم (٢/ ٢١٣).

(٢) سيأتي تخريجه موسعاً مع بيان عدم ثبوته في أواخر المبحث الخامس في أثناء الحديث عن أعمال الدَّابَّة.

(٣) انظر: الفتن لنعيم بن حماد (٢/ ٥٤٣ – ٥٤٦، ٦٥٤ – ٦٥٥، ٦٦٣ – ٦٦٤)، والنهاية في الفتن والملاحم (١/ ١٧٨ – ١٨٠، ٢١٩).

عن بينة، كما قال تعالى في وصف عملها: ﴿ تُكَلِّمُهُمْ ﴾[1].

والقول بأنَّ الدَّابَّة إنسان ليس بحيوان اختلف من قال به إلى أقوال عدة سيأتي ذكرها في بقية الأقوال، والذي معنا في هذا القول هو القول: إنَّ الدَّابَّة إنسان متكلم فصيح يناظر أهل البدع والكفر ويجادلهم، ويقيم عليهم الحجة.

وهذا القول ذهب إليه بعض متأخري المفسرين كما حكاه عنهم كل من: القرطبي؛ صاحب "الجامع لأحكام القرآن" وشيخه أبي العباس أحمد بن عمر القرطبي؛ صاحب "المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم" والسخاوي، والشوكاني[2].

وقد بين ضعف هذا القول ووهنه الإمامان القرطبيان، ومما ذكراه في ضعفه من أوجه:

أولاً: يلزم من هذا القول أنَّ آية ظهور الدَّابَّة يوم القيامة ليس آية خارقة للعادة، وليس من الآيات العشر الكبرى الواردة في الحديث؛ لأنَّ وجود المناظرين والمجادلين لأهل البدع والكفر كثير، وهو مشتهر بين الخلائق عبر العصور، فذكرها بين العشر لا معنى له.

ثانياً: إنَّ ما ورد في ذكر الدَّابَّة وعملها ووصفها من أحاديث وأقوال علماء الإسلام يخالف هذا القول، ويرد على ما تضمنه.

ثالثاً: إنَّ في هذا القول خروجاً عن عادة الفصحاء والبلغاء، وفيه عدم تعظيم

---

(١) سورة النمل، الآية ٨٢.

(٢) انظر: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم لأبي العباس القرطبي (٧/ ٢٤٠)، والجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله القرطبي (١٣/ ١٥٧)، والتذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة لأبي عبد الله القرطبي (٣/ ١٣٣٤ – ١٣٣٥)، والقناعة فيما يحسن الإحاطة من أشراط الساعة للسخاوي (ص ٧١)، وفتح القدير للشوكاني (٤/ ١٥١).

للعلماء، وهو ليس من دأب العقلاء، فكيف يطلق على من دافع عن حياض الإسلام، وردَّ على المخالفين من أهل البدع والكفر لفظ دابَّة، بدلاً من أنْ يطلق عليه إمام أو عالم أو مصلح![1].

القول السابع: إنكار وجود دابة تخرج من الأرض وتكلِّم الناس بالمعنى الذي يفهمه أكثر أهل الإسلام، وأنَّ المقصود بالدَّابَّة الواردة في القرآن الكريم عند صاحب هذا القول هم الناس، وأنهم سيخرجون من الأرض أنسالاً وأنهم يتكلمون، وصاحب هذا القول هو الدكتور/ حسن الترابي، الذي خرج على الأمة هذه الأيام بفتاوٍ وأعاجيبَ لا سنام لها ولاخطام؛ سواء كانت عقدية أم فقهية؛ وذلك في الندوة التي جرت أحداثها أمام حشد من الطلاب في جامعة الخرطوم؛ والمعنون لها بـ" تجديد الفكر الديني"، وذلك في مساء يوم السبت، الموافق: (٢٣/ ٤/ ٢٠٠٦)، وقد قام في تلك الندوة بإنكار وتأويل بعض المعتقدات الإسلامية، التي يعتقدها أكثر الأمة، وذلك فيما يتعلق بالساعة وأشراطها، واليوم الآخر ومقدماته، فهو القائل: إنَّ عذاب القبر ليس له حقيقة؛ بل ما ورد ذكره من أحاديث هو عبارة عن رموز فقط، والقائم بتأويل بعض ما جاء من أشراط الساعة؛ كيأجوج ومأجوج، والدَّجال، وغيرها، وإنكار حقيقة المهدي، وقدوم المسيح، والقول بجواز نكاح المسلمة من الكتابي، ونص قوله فيما يتعلق بالدَّابَّة، وبعض أمور الآخرة، كما ذكره في مقابلة أجريت معه في صحيفة " السودان الدولية " هو: "يأجوج ومأجوج ليسوا من علامات الساعة، ليست هناك دابة تخرج من الأرض بأذنين لتكلم الناس، أنا أريد من المسلمين أنْ لا يجنحوا إلى القعود والتراخي والتثاقل عن العمل ينتظرون الرجاء من السماء؛ أنْ يأتي عيسى،

---

(١) انظر: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم لأبي العباس القرطبي (٧/ ٢٤٠)، والجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله القرطبي (١٣/ ١٥٧)، والتذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة لأبي عبد الله القرطبي (٣/ ١٣٣٤ – ١٣٣٥).

أو الدَّجال، ومن بعده المسيح الصادق.

القرآن يخبرنا أنَّ الساعة لا تأتي إلا بغتة عبر كثير من الآيات؛ ولكن نجد آية مثل: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لا يُوقِنُونَ﴾[1]، إذا وقع القول؛ فقد وقع، هناك سورة الواقعة؛ هنا الحديث عن التحول الفلكي في الجبال وفي السماوات وفي قوانين الطبيعة وفي الناس، يخرجون من الأرض "دابَّة" ليست دابَّة واحدة تخرج لهم بآذانها، كما تقرأ في بعض الكتب الغريبة، الناس كلهم يخرجون أنسالاً من الأرض ويتكلمون: من أخرجنا من مرقدنا هذا ؟ القرآن كله يتحدث عن ذلك ...

نعم هم وردوا[2] في قصة ذي القرنين، في سورة الكهف[3]، وفي سورة الأنبياء: فإذا اقترب الوعد الحق[4] ...

يا أخي الكريم: القرآن يتحدث عن تطورات ستحدث، إنه سيحدث في دينكم: أنْ يطول العهد، ويخرج بينكم ربانيون وأحبار، يحتكرون العلم، ويكتسبون منه مالاً، ويخرج الدين من الحياة، كما فعلها الذين من قبلكم، ولذلك أنتم الآن آمنون؛ ولكن بعد ذلك العالم كله سيختلط، ويدخل بعضه على بعض، هذه ليست علامات ساعة، هذه أحداث ستحدث في العالم، الرسول ﷺ كان يحدث الناس أنه سيكون فيكم ملك عضوض، بعد أنْ تكون ولايتكم للأمر راشدة بالشورى، وسيكون فيكم عمران مادي، وتطاول في البنيان ...

---

(١) سورة النمل، الآية ٨٢.

(٢) أي: يأجوج ومأجوج.

(٣) سورة الكهف، الآيات ٨٣ – ٩٩.

(٤) الآية في سورة الأنبياء آية ٩٧، ونصها:﴿وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ﴾.

وهكـذا النـاس يـستدلون بالآيـة، القـرآن يقـول:﴿ فَقَـدْ جَـاء أَشْـرَاطُهَا﴾[1]، الأشراط هي: أنَّ الله لا يحاسب أحداً، ولا يعـذب أحـداً، إلا إذا بعـث رسـولاً، فجـاء فعل ماضٍ لم يقل سيجيء".

ويقول عن عذاب القبر وما ورد في حديث مرور النبي ﷺ بالشخصين اللذين يعذبان في قبريهما بسبب النميمـة وعـدم الاسـتتار والاسـتبراء مـن البـول[2]: "أولاً: الرسول ﷺ أخبرنا القرآن أنه لا يعلم الغيب، هو نفسه مسؤول يوم القيامـة ويحاسـب ... ما أنا عليكم بوكيل ... ويوم القيامة يبعثوني لأشهد بأني بلغت ... ثم هـم كـانوا كفاراً ... إذا مررت أنت بجدة لك ماتت قديماً قد تخاطبهـا: يـا جـدتي، وهـي ليـست جدة، هي عظام، يا اخوانا ليه النـاس مـشغولين بقـصة القـبر دي ؟! هـذه رمزيـات، الجسد رمز للروح، حين نغسل الجسد نسأل الله أنْ يطهر الروح، نطوف بالكعبـة، الله ليس بالكعبة، هي رمز، هذه كلها رمزيات"[3].

وهذا القول ينطبق عليه بعض كلام الإمـامين القـرطبيين - رحمهمـا الله - في القول السابق، كما ينطبق عليه ما سيأتي مـن ردود مـن أوجـه عـدة فـيمن قـال بـأنَّ الدَّابَّة هي علي بن أبي طالب ﷺ، أو غيره، وفي مـن تـأول الدَّابَّـة وقـال إنهـا: اسم جنس لكل ما يدب على الأرض، وهي نوع لا فرد.

أضف إلى ذلك أنه من الممكن أنْ يرد عليه من آيـة النمـل نفـسها، ففـي آيـة النمل ذكر الله تعالى عن الدَّابَّة أنها تكلمهم، فـإنْ كـان يقـصد بالدَّابَّـة النـاس، فهـي

---

(١) سورة محمد، الآية ١٨.

(٢) الحديث رواه البخاري في صحيحه، كتاب الوضوء، باب من الكبائر ألا يـستتر مـن بولـه (١/ ٨٨، رقـم ٢١٣)، وكتاب الجنائز، باب الجريد على القبر (١/ ٤٥٨، رقم ١٢٩٥)، وكتاب الأدب، باب الغيبـة ... (٥/ ٢٢٤٩ ، رقم ٥٧٠٥)، وباب النميمة مـن الكبائر (٥/ ٢٢٥٠، رقـم٥٧٠٨)، ومـسلم في صـحيحه، كتاب الطهارة، باب الدليل على نجاسة البول، ووجوب الاستبراء منه (١/ ٢٠٣، رقم٢٩٢) كلاهما عن ابـن عباس رضي الله عنهما.

(٣) انظر أقوال الترابي في: صحيفة السودان الدولية، العدد١٩١، تاريخ ١٨/ ٥/ ٢٠٠٦م، الصفحة الأخيرة.

ستكلم من؟ وإذا كان الناس وهو الدَّابَّة المخاطِب، فمن هو المخاطَب ؟! ثم أي إعجاز وغرابة وإثارة في كلام الإنسان؛ فهو متكلم بالطبع ؟!.

وعلى العموم فكلام الترابي هذا مخالف لما جاء في القرآن الكريم والسنة الصحيحة من أمر الدَّابَّة، وهو مخالف لما فهمه أئمة الإسلام وعلماؤه، وهو تأويل فاسد لا يعضده كتاب أو سنة.

كما أنَّ إنكاره لأشراط الساعة، أو تأويلها، وقوله بأنَّ عذاب القبر عبارة عن رمز وليس حقيقة، هو كلام مخالف لنصوص الكتاب والسنة، وما عليه إجماع علماء الأمة وسلفها، فالذي عليه اعتقادهم هو: وجوب الإيمان بالساعة وأشراطها، واليوم الآخر ومقدماته، وأنَّ عذاب القبر أو نعيمه واقع حق ثابت، والإيمان بجميع أمور الغيب سواء أدركتها العقول أو لم تدركها، كما ثبتت به النصوص في كتاب الله تعالى، وسنة نبيه ﷺ.

قال تعالى: ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَاء أَشْرَاطُهَا فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ﴾[1].

وقال سبحانه: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن تَأْتِيهُمُ الْمَلآئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لاَ يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انتَظِرُواْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾[2].

وقال سبحانه: ﴿يُثَبِّتُ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللّهُ مَا يَشَاء﴾[3].

---

(١) سورة محمد، الآية ١٨.

(٢) سورة الأنعام، الآية ١٥٨.

(٣) سورة إبراهيم، الآية ٢٧.

وقال سبحانه: ﴿فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ، النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾[1].

قال الإمام ابن قدامة المقدسي رحمه الله: "ويجب الإيمان بكل ما أخبر به النبي ﷺ، وصح به النقل عنه، فيما شاهدناه، أو غاب عنا، نعلم أنه حق، وصدق، وسواء في ذلك ما عقلناه وجهلناه، ولم نطلع على حقيقة معناه...ومن ذلك أشراط الساعة، مثل خروج الدَّجال، ونزول عيسى ابن مريم عليه السلام فيقتله، وخروج يأجوج ومأجوج، وخروج الدَّابَّة، وطلوع الشمس من مغربها، وأشباه ذلك مما صح به النقل. وعذاب القبر ونعيمه حق، وقد استعاذ النبي ﷺ منه، وأمر به في كل صلاة[2]، وفتنة القبر حق، وسؤال منكر ونكير حق، والبعث بعد الموت حق"[3].

وقال الإمام ابن القيم - رحمه الله - عن عذاب القبر: "وهذا كما أنه مقتضى السنة الصحيحة، فهو متفق عليه بين أهل السنة.

قال المروزي: قال أبو عبد الله[4]: عذاب القبر حق لا ينكره إلا ضال مضل.

قال حنبل: قلت لأبي عبد الله: في عذاب القبر، فقال: هذه أحاديث صحاح، نؤمن بها، ونقر بها، كلما جاء عن النبي ﷺ إسناد جيد أقررنا به، إذا لم نقر بما جاء به

---

(١) سورة غافر، الآيتان ٤٥ – ٤٦.

(٢) روى مسلم في صحيحة، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب ما يستعاذ منه في الصلاة (١/ ٣٤٤، رقم ٥٨٨) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "إذا تشهد أحدكم فليستعذ بالله من أربع. يقول: اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن شر فتنة المسيح الدَّجال".

(٣) لمعة الاعتقاد (ص ١٠١ – ١١١).

(٤) أي: الإمام المبجل أحمد بن حنبل رحمه الله.

رسول الله ﷺ ودفعناه ورددناه؛ رددنا على الله أمره، قال الله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾[1].

قلت له: وعذاب القبر حق ؟ قال: حق، يعذبون في القبور.

قال: وسمعت أبا عبد الله يقول: نؤمن بعذاب القبر، وبمنكر ونكير، وأنَّ العبد يُسْأَلُ في قبره ﴿يُثَبِّتُ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ﴾[2] في القبر"[3].

ومنشأ الخلل عند الترابي ومن سار على نهجهم هو قياسهم أمور الغيب على ما عرفوه من أدوات وأقيسة أمور الشهادة، فهم لم يفرقوا بين الغيب والشهادة، فنظروا إلى لغيب بمنظور الشهادة، وتناسوا أنَّ طريقة القياس التي سلكوها لا تستقيم[4]، وأنَّ طريق الغيب هو طريق خبري، لا بد من الوقوف فيه عند الخبر الذي يأتي من السماء بواسطة الوحي لرسل الله صلوات الله وسلامه عليهم.

ثم إنَّ أقوال الترابي هذه هي تأويلات باطلة سار عليها وانتهجها من قبله بعض أصحاب المدرسة العقلية من الفلاسفة والمعتزلة والعقلانيين[5].

القول الثامن: إنَّ الدَّابَّة هم الأشرار من بني الإنسان؛ الذين هم في الجهل

---

(١) سورة الحشر، الآية ٧.

(٢) سورة إبراهيم، الآية ٢٧.

(٣) الروح (ص ٧١)، وانظر أيضاً: لوامع الأنوار للسفاريني (٢/ ٢٣)، والمسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد بن حنبل في العقيدة لعبد الإله الأحمدي (٢/ ١٧٧ - ١٨٣).

(٤) انظر: التدمرية لابن تيمية (ص ٤٦-٥٧)، وشرح لمعة الاعتقاد لابن عثيمين (ص ١١٣).

(٥) انظر فيما عليه أصحاب المدرسة العقلية من تأويل والرد عليهم: منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير لفهد الرومي (١/ ٣٨-٧٠، ٢٨٤ - ٣١١، ٥١٢-٥٣٢، ٧٣٣-٨٠٣)، وموقف المدرسة العقلية من السنة النبوية للأمين الصادق (١/ ٥٥-٩٢، ٣٩٧ - ٤١٥)، (٢/ ١٨٣ - ٢٧٩).

بمنزلة الدَّواب، وهذا القول حكاه الراغب الأصفهاني دون عزو لقائل[1]، وهو قول بعيد عن الحق والصواب كسوابقه ولواحقه؛ ينقصه الدليل والبرهان، ومخالف لما عليه أئمة الإسلام، وينطبق عليه ما تقدم وما يأتي من ردود.

القول التاسع: إنَّ المقصود بالدَّابَّة هو علي بن أبي طالب ﷺ، الذي سيرجع في آخر الزمان، وهذا القول قال به الشيعة، القائلون بالرجعة[2]، وذكروا لقولهم في كتبهم روايات مكذوبة على علي ﷺ، وبعض الصحابة الكرام، وبعض أئمة أهل البيت، ومنها:

ما ذكره أبو جعفر محمد بن يعقوب الكليني بإسناده عن أبي جعفر أنَّ أمير المؤمنين علياً قال: "أنا قسيم الله بين الجنة والنار، لا يدخلها داخل إلا على حدِّ قسمي، وأنا الفاروق الأكبر، وأنا الإمام لمن بعدي، والمؤدي عمن كان قبلي، لا يتقدمني أحد إلا أحمد صلى الله عليه وآله، وإني وإياه لعلى سبيل واحد إلا أنه هو المدعو باسمه، ولقد أعطيت الست: علم المنايا والبلايا، والوصايا، وفصل الخطاب،

---

(١) انظر: المفردات في غريب القرآن (ص ١٧١).

(٢) الرجعة: هي الرجوع إلى الحياة الدنيا بعد الموت، قبل يوم القيامة، وهي عقيدة شيعية فاسدة مجمع عليها عند الإمامية منهم؛ مقتبسة من عقيدة اليهود، الذين يعتقدون كما تذكر توراتهم وأسفارهم المحرفة برجعة بعض أمواتهم في زمن موسى ﷺ، ورجعة اليهود عند خروج مسيحهم المنتظر، ومقدرة أنبيائهم وحاخاماتهم على إرجاع الحياة لمن أراد من الأموات، ويرى الشيعة: أنَّ الرجعة سر من أسرار الله، والقول بها ثمرة الإيمان بالغيب، ويراد بها عندهم: رجعة الأئمة وشيعتهم وأعدائهم ممن محض من الفريقين الإيمان أو الكفر محضاً، ولم يكن ممن أهلكه الله في الدنيا بالعذاب، فمن هلك في الدنيا بالعذاب لا يرجع.

انظر: مقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأشعري (ص ٨٦ - ٨٨)، والفرق بين الفرق للبغدادي (ص ١٧٧ - ١٧٩)، والملل والنحل للشهرستاني (١/ ٢٠٣ - ٢٠٥)، وبحار الأنوار للمجلسي (٥٣/ ٣٩ - ١٤٤)،وبذل المجهود في إثبات مشابهة الرافضة لليهود لعبد الله الجميلي (١/ ٢٧٥ - ٣١٢).

وإني لصاحب الكرات، ودولة الدول، وإني لصاحب العصا والميسم، والدَّابَّة التي تكلم الناس "[1].

وذكر محمد باقر المجلسي بإسناده عن أبي عبد الله الجدلي أنَّ علياً ﷺ قال: " أنا عبد الله، أنا دابَّة الأرض؛ صدقها وعدلها وأخو نبيها "[2].

وذكر بإسناده أيضاً عن عباية بن ربعي أنَّ رجلاً جاء لعلي ﷺ فقال: " حدثني عن الدَّابَّة فقال: وما تريد منها، قال: أحببت أن أعلم علمها، قال: هي دابَّة مؤمنة تقرأ القرآن، وتؤمن بالرحمن، وتأكل الطعام، وتمشي في الأسواق "[3].

وذكر بإسناده أيضاً عن الأصبغ بن نباته أنه قال: " دخلت على أمير المؤمنين عليه السلام وهو يأكل خبزاً وخلاً وزيتاً، فقلت: يا أمير المؤمنين، قال الله عزَّ وجل: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ﴾[4]، فما هذه الدَّابَّة؟ قال: هي دابَّة تأكل خبزاً وخلاً وزيتاً "[5].

وذكر العلامة الألوسي عن علي بن إبراهيم؛ أحد أعيان الشيعة: أنه ذكر في تفسيره عن أبي عبد الله ﷺ قال: " قال رجل لعمار بن ياسر: يا أبا اليقظان آية في كتاب الله تعالى أفسدت قلبي، قال عمار: وأيةُ آيةٍ هي؟! فقال: قوله تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ القول عَلَيْهِم...﴾ [6] الآية، فأية دابَّة هذه؟ قال عمار: والله ما أجلس ولا آكل ولا أشرب حتى أريكها، فجاء عمار مع الرجال إلى أمير المؤمنين علي - كرم الله تعالى

---

(١) الأصول من الكافي (١/١٩٨)، وانظر أمثاله في بحار الأنوار (٥٣/١١٩).

(٢) بحار الأنوار (٥٣/ ١١٠).

(٣) بحار الأنوار (٥٣/ ١١٠ - ١١١).

(٤) سورة النمل، الآية ٨٢.

(٥) بحار الأنوار (٥٣/ ١١٢).

(٦) سورة النمل، الآية ٨٢.

وجهه - وهو يأكل تمراً وزبداً، فقال: يا أبا اليقظان هلم، فجلس عمار يأكل معه، فتعجب الرجل منه، فلما قام عمار، قال الرجل: سبحان الله حلفت أنك لا تجلس ولا تأكل ولا تشرب حتى ترينيها، قال عمار: قد أريتكها إنْ كنت تعقل"[1].

قال الألوسي بعد أنْ ذكر قصة عمار السابقة: "وروى العياشي هذه القصة بعينها عن أبي ذر أيضاً، وكل ما يروونه في ذلك كذب صريح، وفيه القول بالرجعة التي لا ينتهض لهم عليها دليل"[2].

وذكر الإمام الذهبي - رحمه الله - في ترجمة جابر بن يزيد الجعفي أنه كان يقول: "دابَّة الأرض علي رضي الله عنه"[3].

وجابر الجعفي هذا الذي قال هذا القول نقل الذهبي في ترجمته أقوالاً كثيرة لعلماء الجرح والتعديل؛ خلاصتها: أنه شيعي غال، يطعن في صحابة رسول الله ﷺ، يؤمن بالرجعة، من أصحاب عبد الله بن سبأ، لا يكتب حديثه، ولا يروى عنه"[4].

ومعتقد الشيعة هذا ما زال يعتقده الشيعة اليوم، فالمتصفح لمواقعهم على الانترنت يجد الكثير من ذلك، ومنه ما يقوله المرجع الديني الشيعي آية الله العظمى محمد تقي الدين المدرسي في تفسيره "من هدي القرآن" عند تفسير آية النمل على موقعه على الانترنت: "قال أبو بصير، قال أبو عبد الله (ع): "انتهى رسول الله ﷺ إلى أمير المؤمنين (ع) وهو قائم في المسجد، قد جمع رملاً ووضع رأسه عليه، فحركه برجله، ثم قال: قم يا دابَّة الأرض، فقال رجل من أصحابه: يا رسول الله أيسمي

---

(١) روح المعاني (٢٠/ ٢٢).

(٢) روح المعاني (٢٠/ ٢٢).

(٣) ميزان الاعتدال (١/ ٣٨٤).

(٤) انظر: ميزان الاعتدال (١/ ٣٧٩ - ٣٨٤).

بعضنا بعضاً بهذا الاسم ؟! فقال: لا والله ما هو إلا له خاصة، وهو الدَّابَّة الذي ذكره الله في كتابه، فقال عز وجل: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لا يُوقِنُونَ﴾[1]، ثم قال: يا علي إذا كان آخر الزمان أخرجك الله في أحسن صورة، معك ميسم تسم به أعداءك".

وعلى هذا فهذه الآية تشير إلى الرجعة، حيث تتظافر أحاديث آل البيت أنَّ هناك قيامة صغرى قبل القيامة الكبرى، وفي ذلك اليوم يبعث بعض المجرمين وبعض الصالحين"[2].

وهذا القول - بالإضافة لعدم وجود دليل صحيح يعضده، ولاشتماله على بعض الأوجه التي ذكرها القرطبيان، وبعض الأوجه التي ستأتي في أواخر هذا المبحث - فيه دلالة واضحة على ضعف عقول قائليه، وقلة فهمهم، فأي فضيلة لرابع الخلفاء، وابن عم رسول الله؛ بأنْ يوصف بأنه دابَّة الأرض؟ وأيم الله إنَّ هذا امتهان وانتقاص واحتقار لعلي بن أبي طالب ﷺ ومقامه الكريم الرفيع[3].

وهذه العقيدة التي انبثق منها هذا القول هي عقيدة - كما تقدم - أخذتها الشيعة عن اليهود من طريق عبد الله بن سبأ، الذي استطاع بدهائه وغيرته الدينية أنْ يدخل الكثير من العقائد اليهودية على مذهب الشيعة[4]، وهو بذلك عمل ما عمله أسلافه وأجداده من تحريف للديانة النصرانية على يد شاوول اليهودي، الذي عُرِفَ

---

(١) سورة النمل، الآية ٨٢.

(٢) انظر: موقع محمد تقي الدين المدرسي :
http://www.almodarresi.com/hedayat/١٠/a٢٠iwkgh.htm.

(٣) انظر: بذل المجهود في إثبات مشابهة الرافضة لليهود لعبد الله الجميلي (٢/ ٤٦٩).

(٤) انظر: مقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأشعري (ص ٨٦ - ٨٨)، والفرق بين الفرق للبغدادي (ص ١٧٧ - ١٧٩)، والملل والنحل للشهرستاني (١/ ٢٠٣ - ٢٠٤)، وبذل المجهود في إثبات مشابهة الرافضة لليهود لعبد الله الجميلي (١/ ٢٩٨ - ٢٩٩).

بالرسول بولس؛ التي أصبحت الديانة النصرانية بسبب ما أدخله فيها من تحريفات ديانة بوليسية، بعد أنْ كانت عيسوية!، وهذا ما صرَّح به الشيعة أنفسهم فقد ذكر المجلسي في "بحار الأنوار"، والحلي في "مختصر بصائر الدرجات" عن سماعة بن مهران عن الفضل بن الزبير عن الأصبغ بن نباتة قال: قال لي معاوية: يا معشر الشيعة تزعمون أنَّ علياً عليه السلام دابَّة الأرض ؟ فقلت: نحن نقول، واليهود تقول. فأرسل إلى رأس الجالوت[1]، فقال: ويحك؛ تجدون دابَّة الأرض عندكم مكتوبة؟، فقال: نعم، فقال: ما هي؟ فقال: رجل. فقال: أتدري ما اسمه؟ قال: نعم، اسمه: إيليا، قال: فالتفت إليَّ فقال: ويحك يا أصبغ! ما أقرب إيليا من علي"[2].

وقد ردَّ السفاريني قول الشيعة هذا من طريقين أولهما: ذكره أثراً عن علي فيه توهين لقول الشيعة هذا، وثانيهما: ما مضى ذكره قريباً في جابر الجعفي وقوله[3].

والأثر الذي ذكره السفاريني عن علي رواه ابن أبي حاتم في تفسيره من طريق ليث؛ وهو ابن أبي سليم؛ وهو ضعيف[4]، عن النزال بن سبرة قال: قيل لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه: إنَّ ناساً يزعمون أنك دابَّة الأرض. فقال علي: والله إنَّ لدابَّة الأرض ريشاً وزغباً، ومالي ريش ولا زغب، وإنَّ لها لحافراً ومالي من حافر، وإنها لتخرج حضر الفرس الجواد ثلاثاً، وما خرج ثلثاها[5].

القول العاشر: إنَّ الدَّابَّة وظهورها هي كناية عن ظهور مهدي الشيعة، الذي

---

(١) رأس الجالوت: لقب يطلق على رئيس اليهود وعظيمهم، ويكون رأس الجالوت عندهم من أولاد ونسل نبي الله داود عليه السلام.

انظر: الفصل لابن حزم (١/ ٢٤٦)، والإصابة لابن حجر (٤/ ٧٦٦)، وفتح الباري لابن حجر (١٠/ ٥٩٣).

(٢) انظر: بحار الأنوار للمجلسي (٥٣/ ١١٢)، ومختصر بصائر الدرجات للحلي (ص٢٠٩).

(٣) انظر: لوامع الأنوار (٢/ ١٤٧).

(٤) انظر: ميزان الاعتدال للذهبي (٤/ ٣٤٠-٣٤٣)، وتقريب التهذيب لابن حجر (ص٤٦٤).

(٥) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (٩/ ٢٩٢٤)، والدر المنثور للسيوطي (١١/ ٤٠٩).

دخل عندهم السرداب في سامراء بالعراق سنة (٢٥٥هـ)، وسيعود ويظهر في آخر الزمان، وهو محمد بن الحسن العسكري؛ الإمام الثاني عشر عندهم!![١].

وهذا القول، أعني القول بأنَّ الدَّابَّة عبارة عن ظهور المهدي ذكره أبو الفتوح الرازي، وهو أحد علماء الشيعة ، وذلك في تفسيره، حيث قال : " طبقاً للأخبار التي جاءتنا عن طريق الأصحاب، فإنَّ دابَّة الأرض كناية عن المهدي؛ صاحب الزمان عليه السلام"[٢].

وهذا القول من أساسه هو ضرب من المحال والخيال، تصوره الشيعة فبنو عليه كثيراً من أساطيرهم ومعتقداتهم، فالمهدي عندهم وما يعتقدون فيه من أعمال سيقوم بها، غير المهدي عند أهل السنة والجماعة وما يعتقد أهل السنة فيه[٣].

ثم إنَّ قولهم بأنَّ الدَّابَّة هي كناية عن ظهور المهدي هو تأويل باطل، لا يوجد دليل صحيح يعضده، وهو أيضاً ينطبق عليه ما ينطبق على سابقه، وما ينطبق على ما سيأتي من أقوال.

القول الحادي عشر: إنَّ الدَّابَّة هي إيليا، وهذا القول منسوب لليهود كما

---

(١) انظر: الملل والنحل للشهرستاني (١/ ١٩٨ – ٢٠٣).

(٢) انظر: موقع مكتبة العقائد الإمامية، تحت عنوان كتاب الرجعة (ص ٣١)، وقد عزي الكلام في الكتاب المذكور لتفسير الأمثل للشيخ ناصر مكارم الشيرازي (١٢/ ١٢٩) ط: مؤسسة البعثة، بيروت. عن تفسير أبي الفتوح (٨/ ٤٢٣).

.http://www.١٤masom.com/maktabat/maktaba-akaed/maktaba-akaed.htm

(٣) انظر معتقد أهل السنة والجماعة في المهدي: كتاب الشيخ عبد المحسن العباد: "عقيدة أهل السنة والأثر في المهدي المنتظر"، وانظر أيضاً في الكلام عن المهدي عند الشيعة وما يقوم به من أعمال ومقارنة ذلك بمسيح اليهود وما يقوم به من أعمال كتاب "بذل المجهود في إثبات مشابهة الرافضة لليهود" لعبد الله الجميلي (١/ ٢٢٥ – ٢٧٤).

تقدم في أثناء قول الشيعة في علي[١].

ويقصد بإيليا عند علماء الإسلام كما يرجحه الحافظ ابن كثير - رحمه الله - نبي الله إلياس عليه السلام، وقيل: إنه إدريس عليه السلام؛ لكن ابن كثير يضعف القول الأخير هذا[٢].

ويسمى عند أهل الكتاب بإيليا التشبي، وقيل: "النشبي"، وذلك نسبة لمدينة "تشبة" التي ولد ونشأ فيها، وهو المرسل لأهل بعلبك، الذين عبدوا "بعل"؛ المكون عندهم من ثلاثة أقانيم هي: أنو؛ إله السماء، وإنكي؛ إله الأرض والمياه، وإنليل؛ كبرى زوجات الإله.

ويعتقد اليهود أنَّ إيليا من أعظم أنبياء بني إسرائيل، وأنه سيعود في آخر الزمان، فعلى رأي البعض كما تقدم سيكون دابَّة الأرض، وعلى رأي بعضهم أنه المسيح المنتظر.

ونجد أنَّ من تقاليد اليهود المرعية عند احتفالهم بعيد الفصح تَرْكَ مقعدٍ خال بين المقاعد، اعتقاداً منهم أنه سيكون لإيليا عند مجيئه، واضعين أمام المقعد طعاماً وشراباً من النبيذ[٣].

جاء في سفر ملاخي: "هأنذا أرسل إليكم إيليا النبي قبل مجيء يوم الرب اليوم العظيم والمخوف، فيرد قلب الآباء على الأبناء، وقلب الأبناء على آبائهم لئلاَّ آتي وأضرب الأرض بلعن"[٤].

وذكر ابن كثير عن وهب بن منبه: "أنَّ إلياس لما دعا ربه أنْ يقبضه إليه لما

---

(١) انظر: بحار الأنوار للمجلسي (٥٣/ ١١٢)، ومختصر بصائر الدرجات للحلي (ص٢٠٩).

(٢) انظر: قصص الأنبياء (ص ٤٦٤، ٤٦٨).

(٣) انظر: قصص الأنبياء لابن كثير (ص ٤٦٤ - ٤٦٥)، والارتباط الزمني والعقائدي بين الأنبياء والرسل للحاج محمد وصفي (ص ٢٦٢ - ٢٧٣)، والله والأنبياء في التوراة والعهد القديم للبار (ص ٥١٤ - ٥١٩)، وقاموس الكتاب المقدس (ص ١٤٤ - ١٤٥).

(٤) سفر ملاخي، الإصحاح ٤، الفقرتان ٥ - ٦.

كذبه قومه وآذوه، جاءته دابَّة لونها لون النار فركبها، وجعل الله له ريشاً، وألبسه النور، وقطع عنه لذة المطعم والمشرب، وصار ملكياً بشرياً سماوياً أرضياً، وأوصى إلى اليسع بن أخطوب"[1].

قال ابن كثير عن قول وهب هذا: "ففي هذا نظر، وهو من الإسرائيليات، التي لا نصدق، ولا نكذب، بل الظاهر أنَّ صحتها بعيدة، والله تعالى أعلم"[2].

وما ذكره ابن كثير عن وهب بن منبه هو من الإسرائيليات فعلاً، فهو موجود بتمامه في سفر الملوك الثاني من العهد القديم[3].

القول الثاني عشر: إنَّ الدَّابَّة هي الإنسان الآلي المزود بالكمبيوتر، الذي سيخاطب الناس كلاً بلغته، وصاحب هذا القول رجل أتى بعجائب الأمور وغرائبها، وهو رجل يدعى بنور صالح، الذي يذكر عن نفسه أنَّ الله بعثه ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، وأنه رجل الساعة، آتاه الله علمها، وألهمه معرفة جميع ما يتعلق بها، وذلك عن طريق سلسلة من الإشارات أُظْهِرت له، ويزعم أنَّ الله أمره أنْ يبين للناس ما أنزله إليهم وما أخفى عنهم في كتابه العزيز، وهو يدعو العلماء على مختلف أطيافهم ونحلهم للحوار والامتثال لما يقول به.

فهو في قوله هذا فاق نبي الإسلام - صلوات ربي وسلامه عليه - الذي كمَّل الله به الدين، وأنزل عليه كتاباً فيه تبيان كل شيء، كما قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ

---

(١) قصص الأنبياء (ص ٤٦٦).

(٢) المرجع السابق.

(٣) انظر: سفر الملوك الثاني، الإصحاح ٢، الفقرات ١ – ١٨.

دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ﴾[1]، وقال سبحانه: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾[2]، وإسلامه الذي يدعو إليه هو إسلام ودين مختلف كل الاختلاف عما جاء به رسول هذه الأمة محمد بن عبد الله ﷺ.

وقوله في الدَّابَّة هذا من أعجب الأقوال وأوهنها، ونص كلامه فيها: "ومن الدَّواب التي خلقها الله، والتي تمثل كل هذه الدَّواب، هو: الإنسان الآلي المزود بالكمبيوتر، تلك هي الدَّابَّة التي سيخرجها الله بإذنه يوم القيامة؛ ليشهد على الناس أنهم كانوا لا يوقنون بآيات الله".

وقوله أيضاً: " فالكمبيوتر هو الدَّابَّة التي سيخرجها الله غداً يوم القيامة، في شكل إنسان آلي؛ ليشهد على الناس أنه كان يوحد الله، وأنه كان يبين لهم عظمة الله، وحقيقة التوحيد، في ما ينجز لهم من خوارق وعجائب وآيات واضحة، ملأت الدنيا، فيشهد عليهم أنهم لم يكونوا من الموحدين، فلم يؤمنوا بتلك الآيات، ولا بما أنزل الله عليهم "[3].

وهذا القول كما قلت سالفاً وكما سيأتي لاحقاً يُعَدُّ من التأويلات والأقوال الفاسدة، المخالفة لصريح وظاهر الكتاب والسنة، ولعل حكايته تكفي في رده، فالدَّابَّة الواردة التي ذكر الله ورسوله أمرها بلسان عربي مبين، وأنَّ أمرها خارق، وأنها ستكلم الناس وتسمهم؛ هي حيوان واحد ليس بإنسان، فضلاً عن أنْ تكون إنساناً آلياً يتحدث للناس كل بلغته عن طريق الحاسوب!!.

---

(١) سورة المائدة، الآية ٣.

(٢) سورة الأنعام، الآية ٣٨.

(٣) انظر: موقع بنور صالح على الشبكة العنكبوتية:

http://mosque.electronic.iquebec. Com / .http:www.arabtopics.com /

تاريخ: ٢٤/ ٣/ ٢٠٠٦، وانظر أيضاً: موقع قضايا عربية

القول الثالث عشر: إنَّ الدَّابَّة اسم جنس لكل ما يدب، وليست حيواناً مشخصاً بعينه، ففي كل بلد دابَّة مثبوت نوعها في الأرض، فهي نوع لا فرد.

وهذا القول ذُكر فيه الحيوان دون تعيين لماهيته وحقيقته، وقد حكاه دون عزو لقائل ودون تحديد لماهية ذلك الحيوان كل من: ابن عطية وأبي حيان والدميري والبرزنجي[1]، وحكاه أيضاً الشيخ محمد بن يوسف الكافي عن بعض معاصريه ذاكراً فساده وبعده عن الحق والصواب[2].

قال أبو حيان بعد أنْ ذكر أنَّ الصحيح والظاهر هو خروج دابَّة واحدة لا دواب متعددة: "وروي أنها تخرج في كل بلد دابَّة مما هو مثبوت نوعها في الأرض، وليست واحدة، فيكون قوله "دابَّة" اسم جنس"[3].

وقال البرزنجي: "ثم رأيت ابن علان قال في تفسيره "ضياء السبيل" ما لفظه: وقيل: تخرج في كل بلد دابَّة مما هو مثبوت نوعها في الأرض، وليست واحدة، فدابَّة على هذا القول اسم جنس. انتهى"[4].

القول الرابع عشر: هذا القول منبثق من سابقه، ففي القول السابق لم يحدد نوع الحيوان وماهيته، وفي هذا القول تحديد وتشخيص لنوع الحيوان، بل ادعي فيه: أنَّ الدَّابَّة ظهرت وخرجت، وهي موجودة بين الخلائق، وهي الجراثيم الخطيرة الصغيرة؛

---

(١) انظر: المحرر الوجيز لابن عطية (١٢/ ١٣٢)، والنهر الماد من البحر المحيط لأبي حيان (٢/ ٦٣٥)، وحياة الحيوان للدميري (١/ ٤٥٩)، والإشاعة لأشراط الساعة للبرزنجي (ص٣٠٥).

(٢) انظر: المسائل الكافية في بيان وجوب صدق خبر رب البرية (ص ١٣٧).

(٣) النهر الماد من البحر المحيط (٢/ ٦٣٥).

(٤) الإشاعة لأشراط الساعة (ص ٣٠٥).

ملحوظة: نظراً لتشابه هذا القول مع الأقوال التالية سيكون بيان وَهْنها وبُعْدِها عن الحق في نهاية آخرها.

التي تفتك بالأنفس والأموال والثمار، بسبب ما اقترفته أيدي العباد من جرم وإثم، وتعد لحدود الله تبارك وتعالى.

وقد قال بهذا القول ونصره محمد فهيم أبو عبية في أثناء تحقيقه وتعليقه على النهاية في الفتن والملاحم للحافظ ابن كثير؛ حيث قال معلقاً على كلام الحافظ في الدَّابَّة وأمرها: "ظهرت وكثرت وانتشرت، فالدَّابَّة اسم جنس لكل ما يدب، وليست حيواناً مشخصاً معيناً يحوي العجائب والغرائب، ويمثل على الحقيقة ما يعجز الخيال"[1].

وقال أيضاً: " لماذا لا يكون تكليم الدَّابَّة للإنسان بلسان الحال لا بلسان المقال؟! وإنَّ من معاني التكليم التجريح؛ يقال: كَلَمه كَلْماً إذا جرحه، وكَلَّمه تكليماً إذا أكثر الجراحات فيه؛ فلماذا لا تفهم الآية على هذا الوجه ؟!"[2]، ليس ما يمنع من هذا ولا ذلك.

ولعل المراد بالدَّابَّة هي تلك الجراثيم الخطيرة التي تفتك بالإنسان وجسمه وصحته، وبأمواله؛ زروعاً وثماراً ومواشي؛ جزاءً له على بعض ما تجني يداه من إثم ونكر، وقصاصاً على بعض تعديه لحدود الله، وما شرع لعباده، والجراثيم الضارة الشديدة الخطورة منتشرة في كل مكان، تكاد تغطي مساحة الأرض، وتملأ طبقات الجو، وهي تجرح وتقتل، ومن تجريحها وأذاها كلمات واعظة للناس لو كانت لهم قلوب ترجع بهم إلى الله ودينه، وتلزمهم المحجة التي ضلوا عنها وتركوها وراءهم ظهرياً، ولسان الحال أبلغ من لسان المقال، وحمل صحاح الأحاديث النبوية، وتفسير الآيات القرآنية الكريمة، بما يناسب الواقع، ويواكب المنطق، ويتسق وفطرة الحياة، أولى

---

(١) نهاية البداية والنهاية في الفتن والملاحم لابن كثير تحقيق محمد فهيم أبو عبية (ص١٩٩) نقلاً عن: إتحاف الجماعة للشيخ حمود التويجري (٣/ ١٨٦).

(٢) انظر في بيان المراد بالتكليم وأقوال العلماء في ذلك مبحث: عمل الدَّابَّة ووظيفتها.

من السبح في أجواء من الخيال"[1].

القول الخامس عشر: هذا القول هو كسابقيه؛ لكن الفرق بينه وبين قول أبي عبية السابق: أنَّ أبا عبية ذكر أنَّ الدَّابَّة هي الجراثيم بينما القول الذي معنا هنا ذكر أنَّ الدَّابَّة هي نوع من أنواع الحشرات الموجودة الآن، وستكثر وتنتشر في مستقبل الزمان، وتهجم على الناس وتفتك بهم مع ما هي عليه من ضعف وقلة حيلة.

وقد قال بهذا القول ونصره محمد فريد وجدي؛ صاحب "موسوعة القرن العشرين الشهيرة" ونص كلامه بعد أنْ تحدث عن الدَّابَّة وتعريفها وأقوال المفسرين فيها: "وأحسن ما نراه في تفسير هذه الآية: أنَّ معنى تكلمهم هو تجرحهم؛ لأنَّ الكلم بمعنى الجرح، فيكون معنى الآية الكريمة: وإذا وقع القول على المكذبين من الناس أخرجنا لهم حيواناً من الأرض يجرحهم، فلا مانع أنْ يكون هذا الحيوان من نوع الحشرات الموجودة الآن، ويكثر في المستقبل لأي سبب من الأسباب، فيكون هجومها على الناس على ضعفها وصغر حجمها وتحميلهم الأذى الكبير وعجزهم عن مقاومتها مع ما أوتوه من بسطة العلم والحيلة آية من آيات الله، هذا ما يثلج عليه الصدر، والله أعلم"[2].

القول السادس عشر: هذا القول يشبه الأقوال الثلاثة السابقة، فقد ذكر صاحبه وهو فريد عباس رجاء قبطني: أنَّ المقصود بالدَّابَّة المذكورة في سورة النمل والأحاديث النبوية حشرة النمل، وأنَّ ذلك يفهم - بناء على فهمه - من اسم السورة التي ذكر فيها أمر الدَّابَّة، ومن كلام النمل لسليمان عليه السلام في قوله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا أَتَوْا

---

(١) نهاية البداية والنهاية في الفتن والملاحم لابن كثير تحقيق محمد فهيم أبو عبية (ص ١٩٠)، نقلاً عن: إتحاف الجماعة للشيخ حمود التويجري (٣/ ١٨٢ - ١٨٣).

(٢) دائرة معارف القرن الرابع عشر (العشرين) (٤/ ١٤).

عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ﴾[1].

كما نجد صاحب هذا القول في نفس الموطن الذي تحدث فيه عن أمر الدَّابَّة قام بتأويل علامتي: الدخان، وظهور المسيح الدَّجال، وذكر أنهما خرجتا وهما بين الناس اليوم.

فقد ذكر: أنَّ المقصود بالدخان انتشار الدخان بين شاربيه على المستوى الشخصي، وانتشاره على المستوى العام عن طريق التلوث الصناعي الذي أوشك أنْ يهدد الحياة ومستقبلها على الكرة الأرضية.

وذكر: أنَّ الدَّجال رمز للباطل، وهو شيء رمزي، يمثل كل ما يخدع الإنسان بالإيحاء له بأنَّ الإيمان بالله واتباع الدين من أساطير الأولين وكلام متجاوز أي دجل.

وذكر مدللاً على ظهوره: أنَّ ظاهرة طمس كل سعي روحي للإنسانية لكي ينسيها الله، لم يبلغ على مدى التاريخ درجة أبعد مما وصل إليها في هذا العصر[2].

القول السابع عشر: هذا القول مشابه للأقوال الأربعة السابقة، حيث إنَّ صاحبه وهو بديع الزمان سعيد النورسي؛ صاحب "الشعاعات" قام في شعاعاته وبالتحديد في الشعاع الخامس منها بتأويل أشراط الساعة كلها ما عدا شرطاً واحداً من أشراطها وهو طلوع الشمس من مغربها؛ التي هي عنده واضحة وضوح البديهة.

فقد ذهب إلى أنَّ أشراط الساعة وعلاماتها مبهمة وغير صريحة، ومحتملة

---

(١) سورة النمل، الآية ١٨.

(٢) انظر: طلوع الشمس من مغربها علم للساعة، مبحث "كشف الغطاء" لفريد عباس رجاء قبطني، الطبعة الرابعة، يناير، ٢٠٠٤م، والموجود على موقع المركز الدولي للبحث العلمي بباريس، على الشبكة العنكبوتية: http://www.cirs-tm.org .

للتأويل؛ كبعض المتشابهات القرآنية.

ومما ذكره من التأويلات ما ذكره من أمر الدَّجال؛ حيث ذهب إلى أنَّ الدَّجال هو رمز للباطل والإلحاد، وليس دجالاً واحداً بل هم دجاجلة كثيرون، وأنَّ تنقله من مكان لمكان، وما أوتيه من قدرات هائلة خارقة جاءت بها الأحاديث، إنما هو عبارة عن تفنن الدجاجلة؛ أهل الفساد، بالتخريب والإفساد، وإثارة الشهوات، وتحريك الرغبات، وأنَّ أخبارهم تصل لأرجاء الأرض وأصقاعها، عبر وسائل الإعلام المنتشرة الآن.

وذكر أنَّ يأجوج ومأجوج هم إشارة إلى قبائل المانجو والمغول، وبعض القبائل الصينية، الذين سيدمرون العالم كله في الأزمان المقبلة، وهم الذين قاموا بتدمير كثير من المدن والدويلات في آسيا وأوروبا في العهود الغابرة، ومنهم الإرهابيون المشتهرون في المنظمات الشيوعية، وأصحاب الفكر الاشتراكي الذي دعا إلى تدمير كثير من المقدسات عبر الثورة البلشفية[١].

وأما ما يتعلق بموضوع بحثنا وهو الدَّابَّة، فقد ذكر ما جاء في الأقوال الأربعة السابقة من أنها اسم جنس، وهي نوع وليست فرداً، ثم حدد حقيقة وماهية ذلك النوع بحيوان الأرضة؛ الذي يقضم الخشب ويأكله.

ونص قوله في ذلك هو: "أنه كما سلط الله سبحانه آفة الجراد والقمل على قوم فرعون، وسلط طيراً أبابيل على قوم أبرهة؛ الذين أتوا لهدم الكعبة، كذلك الذين ينساقون طوعاً وعلى علم بفتن السفياني والدجاجلة، فيتمادون في العصيان والطغيان والفساد، ويترددون في الإلحاد والكفر والكفران والتوحش والغدر، بدافع الإرهاب والفوضى، التي يشيعها يأجوج ومأجوج، يخرج عليهم حيوان من الأرض - لحكمة

---

(١) انظر كلامه في كتابه الشعاعات، الشعاع الخامس (ص ١٠٢ - ١٢٦).

ربانية لإعادة صوابهم - فيسلط عليهم ويدمرهم تدميراً.

إنَّ تلك الدَّابَّة - والله أعلم - هي نوع وليست فرداً؛ لأنه لو كانت فرداً وحيواناً واحداً ضخماً جداً، لما بلغ كل شخص في كل مكان، فهو إذن طائفة حيوانية مخيفة، وربما هي حيوان كالأرضة؛ التي تقضم الخشب وتأكله، كما تشير إليها الآية الكريمة: ﴿إِلَّا دَابَّةُ الأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ﴾[1]، فهذا الحيوان أيضاً يقضم عظام الإنسان وينخرها؛ كنخر تلك الدَّابَّة الخشب، ويستقر في جميع أجزاء جسم الإنسان من أسنانه إلى أظفاره.

وقد أنطقت الآية الكريمة تلك الدَّابَّة بخصوص الإيمان مشيرة: بأنَّ المؤمنين ينجون منها؛ ببركة الإيمان ويمنه، وبتحرزهم من السفاهة، وتجنبهم الإسراف، وسوء الأخلاق"[2].

وهذا القول، وما تضمنته الأقوال الأربعة السابقة، من أنَّ الدَّابَّة: اسم جنس، لكل ما يدب، وليست حيواناً معيناً مشخصاً، سواء أطلقت ماهيته، أو حددت بالجراثيم، أو الحشرات، أو النمل، أو الأرضة، هي تأويلات وأراء فاسدة ضعيفة، بعيدة عن الصواب، وذلك من أوجه عدة، ويدخل في بعض تلك الأوجه أيضاً من قال: إنَّ الدَّابَّة هي إنسان، بغض النظر عن كنهه وحقيقته، أو تأولها بتأويلات بعيدة:

الوجه الأول: إنَّ القول بأنَّ الدَّابَّة اسم جنس لكل ما يدب، وهي حيوان غير مشخص وغير معين، يطلق على مجموعة مهولة من الحيوانات؛ سواء أكانت على قول من قال: إنها الجراثيم، أو الحشرات، أو النمل، أو الأرضة، أو قول من قال: إنها إنسان، أو عصى، هو قول مخالف لصريح القرآن والسنة الصحيحة؛ التي نصت على

---

(١) سورة سبأ، الآية ١٤.

(٢) الشعاعات (ص ١٢١).

أنَّ الدَّابَّة هي فرد ودابَّة واحدة، لا مجموعة مهولة لا تحصى من الحيوانات أو البشر.

قال العلامة الألوسي رحمه الله: " وأكثر الروايات أنها دابَّة واحدة؛ وهو الصحيح، فالتعبير عنها باسم الجنس وتأكيد إبهامه بالتنوين الدال على التفخيم من الدلالة على غرابة شأنها وخروج أوصافها عن طور البابن ما لا يخفى "[1].

الوجه الثاني: إنَّ الأصل في الألفاظ غيبية كانت أو غير غيبية إبقاؤها على ظاهرها وعدم تأويلها ما لم يصرفها صارف من الاحتمال الراجح إلى احتمال آخر مرجوح بدليل صحيح يقترن بها[2]، وهنا لا يوجد صارف يصرف ما يتعلق بالدَّابَّة عن ظاهرها المراد إلى تأويلات بعيدة كل البعد عن النص الصحيح والمراد، وإنما هي تخرصات وتأويلات هي في الحقيقة تحريفات؛ ليس فيها أثرة من سنة أو كتاب.

قال القاضي عياض – رحمه الله – في أثناء شرحه لقول النبي ﷺ: " ثلاث إذا خرجن لا ينفع نفساً إيمانها..."[3]: " هذا الحديث على ظاهره عند أهل الحديث والفقه والمتكلمين من أهل السنة خلافاً لما تأولته الباطنية "[4].

وقال الشيخ حمود التويجري رحمه الله: " تأويل دابَّة الأرض بالجراثيم في غاية البعد والبطلان، بل هو نوع من الهذيان...إنَّ الواجب على المسلم: أنْ يؤمن بما جاء في كتاب الله تعالى، وبما ثبت عن رسول الله ﷺ من أخبار الغيوب الماضية والآتية، ولا يجوز لأحد أنْ يرد ما خفي عليه منها، وما لا يحتمله عقله، ولا أنْ يحمل الآيات

---

(١) روح المعاني (٢٠/ ٢٢).

(٢) انظر في التأويل وأنواعه: التدمرية لابن تيمية (ص ٩١ – ٩٢)، ومجموع الفتاوى لابن تيمية (٥/ ٣٥-٣٦)، والصواعق المرسلة لابن القيم (١/ ١٧٧-١٧٨)، وتقريب التدمرية لابن عثيمين (ص٨٦-٨٧).

(٣) تقدم تخريجه في أثناء المبحث الثاني ، ص (١٧).

(٤) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم (٢/ ١٩٥).

والأحاديث على غير ظاهرها من غير دليل من الكتاب أو السنة يدل على ذلك"[1].

وقال الشيخ أحمد شاكر - رحمه الله - عن آية الدَّابَّة في سورة النمل، وبعض ما ورد فيها من أحاديث: " والآية صريحة بالقول العربي أنها دابَّة، ومعنى الدَّابَّة في لغة العرب معروف واضح، لا يحتاج إلى تأويل، وقد بين هذا الحديث بعض فعلها، ووردت أحاديث كثيرة في الصحاح وغيرها بخروج هذه الدَّابَّة الآية، وأنها تخرج آخر الزمان، ووردت آثار أخر في صفتها لم تنسب إلى رسول الله ﷺ، المبلغ عن ربه، والمبين آيات كتابه، فلا علينا أنْ ندعها ...

ولكن بعض أهل عصرنا، من المنتسبين إلى الإسلام، الذين فشا فيهم المنكر من القول، والباطل من الرأي، الذين لا يريدون أنْ يؤمنوا بالغيب، ولا يريدون إلا أنْ يقفوا عند حدود المادة؛ التي رسمها لهم معلموهم وقدوتهم من ملحدي أوروبا الوثنيين الإباحيين، المتحللين من كل خلق ودين، هؤلاء لا يستطيعون أنْ يؤمنوا بما نؤمن به، ولا يستطيعون أنْ ينكروا إنكاراً صريحاً، فيجمجمون[2] ويحاورون ويداورون، ثم يتأولون، فيخرجون بالكلام عن معناه الوضعي الصحيح للألفاظ في لغة العرب، يجعلونه أشبه بالرموز، لما وقر في أنفسهم من الإنكار الذي يبطنون!.

بل إنَّ بعضهم لينقل التأويل عن رجل هندي معروف أنه من طائفة تنتسب للإسلام، وهي له عدو مبين، وعبيد لأعدائه المستعمرين!! فانظر إليهم أنى يتردَّون ويصرفون؟ وأي نار يقتحمون؟! ذلك بأنهم بآيات الله لا يوقنون "[3].

---

(١) إتحاف الجماعة (٣/ ١٨٥).

(٢) من الجمجمة، وهي عدم تبيين الكلام من غير عي، يقال: جَمْجَمَ الرجل وتَجَمْجَمَ إذا لم يُبَيِّنْ كلامه.
انظر : لسان العرب لابن منظور (١٢/ ١٠٩ - ١١٠).

(٣) شرح أحمد شاكر لمسند الإمام أحمد (١٥/ ٨٢)، وانظر أيضاً في المعنى نفسه: ما ذكره الشيخ محمد بن يوسف الكافي في كتابه: المسائل الكافية في بيان وجوب صدق خبر رب البرية (ص ١٣٧).

الوجه الثالث: الذي عليه جماهير أهل التفسير وأئمة الإسلام أنَّ معنى: ﴿تُكَلِّمُهُمْ﴾ الوارد في الآية هو الكلام والمخاطبة بلسان المقال لا بلسان الحال، وأنَّ من قال: إنَّ الدَّابَّة لا تتكلم بمعنى المخاطبة وإنما تكليمها بمعنى التجريح فقط هو كلام مرجوح.

وهذا لا يعني أنهم لم يقولوا – أعني أئمة التفسير - بأنَّ من أعمال الدَّابَّة بالإضافة للكلام؛ وسم وكلْم الناس على وجوههم، كما سيأتي تفصيل ذلك في مبحث مستقل بإذن الله تعالى.

الوجه الرابع: إنَّ الحيوانات والحشرات التي قيل عنها إنها الدَّابَّة سواء أكانت جراثيم أو حشرات أو أرضة أو نمل وأنها ستفتك بالإنسان، هي حيوانات وحشرات كانت موجودة منذ سالف الأزمان ولا تزال، وهي منتشرة في جميع أصقاع الدنيا وأرجائها، وأما دابَّة الأرض المنصوص عليها في القرآن والسنة الصحيحة لم تخرج بعد، وسيكون خروجها - بإذن الله – في آخر الزمان، عند وقوع القول، واقتراب الوعد، وظهور علامات الساعة الكبرى، وعلى هذا فتأويل الدَّابَّة بتلك الحيوانات هو قول ليس بصحيح.

الوجه الخامس: إنَّ الدَّابَّة التي أخبر الله بخروجها، ليست من الدَّواب المعروفة التي يعرفها الناس، كما دلت على ذلك الأحاديث، وأقوال سلف الأمة وعلمائها؛ التي تكلمت عن وصفها وذكر عملها، بينما الحيوانات والحشرات والبشر هي خلائق معروفة مشتهرة، فأي إبهار وتشويق في ذلك؟!.

الوجه السادس: إنَّ الجراثيم والأرضة والنمل هي حشرات وحيوانات صغيرة جداً، والبعض منها قد لا يرى إلا عن طريق الميكروسكوبات (المنظار المكبر)، بينما الدَّابَّة لم يقل أحد بعدم رؤيتها، بل الوارد فيها ما يدل على عظم خلقها، وعلى رؤية الناس لها، وأنها ستكلمهم وتسمهم.

الوجه السابع: إنَّ دابَّة الأرض التي وعد الله ورسوله بخروجها هي من خوارق العادات، ومما يعجز الخيال عن تصورها، وأنها عظيمة في تكوينها، وفيما يَصْدُر عنها، مقارنة في عظمها لطلوع الشمس من مغربها؛ بينما ما ورد في تلك التأويلات ليس كذلك.

الوجه الثامن: إنَّ القول بأنَّ الدَّابَّة هي الجراثيم أو الأرضة أو النمل، وكذلك القول بتأويل علامات الساعة وأشراطها عن ظاهرها المراد، هو قول مخالف لما عليه معتقد أهل السنة والجماعة؛ القائم على الإيمان والتسليم بما جاء في كتاب الله تبارك وتعالى، وما ثبت في سنة نبيه ﷺ من دون تحريف أو تأويل، والسير في فهمهما على طريقة سلف الأمة من الصحابة والتابعين ومن سار على نهجهم إلى يوم الدين.

الوجه التاسع: إنَّ القول بأنَّ الدَّابَّة هي الجراثيم، أو الأرضة، أو النمل، أو حتى الإنسان؛ سواء أكان علياً، أو من يجادل أهل البدع، أو شرار الخلق، أو الإنسان الآلي، أو غيرهم، قول يدل على أنَّ الدَّابَّة التي هي من أشراط الساعة قد ظهرت، وهي موجودة بين الناس، وإذا كان الأمر كذلك؛ فإنَّ هذه الأقوال تدل على نفي الإيمان عن جميع المؤمنين على وجه الأرض، وعلى أنَّ التوبة غير مقبولة من الناس؛ لأنَّ النبي ﷺ كما روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة ﷺ قال: "ثلاث إذا خرجن لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً: طلوع الشمس من مغربها، والدَّجال، ودابَّة الأرض"[(١)].

الوجه العاشر: إذا كانت الدَّابَّة قد ظهرت بناء على ما جاء في التأويلات السابقة؛ فما السر إذاً في تخويف وتذكير الله عز وجل ورسوله ﷺ للعباد والخلق من الدَّابَّة وظهورها، وما فائدة حثهم ودعوتهم للمبادرة بالعمل، والاستقامة على الطريق قبل ظهورها.

---

(١) تقدم تخريجه في أثناء المبحث الثاني. ص (١٧).

الوجه الحادي عشر: إنَّ الدَّابَّة الواردة في الأحاديث ستسم الناس على وجوههم، حتى يعرف مؤمنهم من كافرهم، بينما نجد ونشاهد الجراثيم أو النمل أو الأرضة أو غيرها من حشرات لا تفرق بين مؤمن وكافر في الإيذاء أو الوسم.

الوجه الثاني عشر: إنَّ الدَّابَّة كما مر معنا ستسم الناس مؤمنهم وكافرهم كل بحسبه، والحيوانات والحشرات أو الإنسان والبشر المذكورين في الأقوال السابقة لم نشاهد أحداً منهم فعل ذلك البتة، مع أنها قد خرجت، وذلك بناء على ما يلزم من أقوال أصحابها.

الوجه الثالث عشر: إنَّ الذي أنطق النمل والهدهد لنبي الله سليمان عليه السلام في سالف الأزمان قادر على أن يُنطق دابَّة أخر الزمان عند خروجها، فيفهم الناس كلامها ويعوا حديثها.

الوجه الرابع عشر: إنَّ تأويل الدَّابَّة بما ذكر من تأويلات باطلة فيه تكذيب لما أخبر الله به ورسوله ﷺ من أمرها، والله تعالى أعلم[1].

وبعد هذه العرض والمناقشة لأقوال العلماء والناس في الكلام عن ماهية الدَّابَّة وتعيينها، ومن أي دواب الأرض هي؟ أعود وأُذكِّر أنه يجب على المسلم أنْ يؤمن بخروج دابَّة الأرض قرب قيام الساعة، وأنَّ خروجها آية من آيات الله العظام، وأنها ستكلِّم الناس وتسمهم، وأنها حيوان واحد مشخَّص معين، لا مجموعة من الحيوانات كثيرة لا تعد ولا تحصى، وهي ليست إنساناً أو جماداً، وأنها ذات خلق عظيم يبهر العقول.

وقد اختلف في وقت خلقها، وذلك من ناحية هل تخلق يوم تخرج أو هي مخلوقة الآن؟ فقيل: إنها تخلق يوم تخرج، وقيل: إنها مخلوقة الآن؛ لكنها لم تؤمر

(١) انظر للفائدة: إتحاف الجماعة للتويجري (٣/ ١٨٣ – ١٨٧).

بالخروج، وأنَّ قوله تعالى:﴿أَخْرَجْنَا لَهُمْ﴾ دال على وجودها مسبقاً قبل إخراجها، والله تعالى أعلم[1].

وعن وصف الدَّابَّة وشكلها فإننا نجد روايات وأقوالاً كثيرة، لم يصح منها شيء مرفوع للنبي ﷺ، وأغلب ما ذكر روايات موقوفة متكلم في كثير من أسانيدها، أو أقوال واجتهادات للمفسرين، وهي في نفس الوقت أقوالاً متعارضة، مما يجعلنا لا نستطيع القطع في شيء من وصفها إلا القول بأنها عظيمة التكوين تبهر العقول.

قال أبو حيان – رحمه الله – أثناء حديثه عنها: "واختلفوا في ماهيتها وشكلها، ومحل خروجها، وعدد خروجها، ومقدار ما تخرج منها، وما تفعل بالناس، وما الذي تخرج به اختلافاً مضطرباً معارضاً بعضه بعضاً، ويكذب بعضه بعضاً"[2].

وقال الرازي – رحمه الله – بعد أنْ ذكر جملة من أوصافها: "واعلم أنه لا دلالة في الكتاب على شيء من هذه الأمور، فإنْ صح الخبر فيه عن الرسول ﷺ قُبِل وإلا لم يلتفت إليه"[3].

وقال الإمام القرطبي رحمه الله: "وقد اختلف في صورتها، وفي أي موضع تخرج منه على أقوال كثيرة، وليس في شيء من ذلك خبر صحيح مرفوع"[4].

وقال الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله: "وهذه الدَّابَّة هي الدَّابَّة المشهورة التي تخرج في آخر الزمان، وتكون من أشراط الساعة؛ كما تكاثرت بذلك الأحاديث، ولم يذكر الله ورسوله كيفية هذه الدَّابَّة، وإنما ذكر أثرها، والمقصود منها، وأنها من

(١) انظر: روح المعاني للألوسي (٢٠/ ٢٣).

(٢) البحر المحيط (٧/ ٩٦ – ٩٧).

(٣) التفسير الكبير (١٢/ ٢١٨).

(٤) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٧/ ٢٤٠).

آيات الله، تكلّم الناس كلاماً خارقاً للعادة، حين يقع القول على الناس، وحين يمترون بآيات الله، فتكون حجة وبرهاناً للمؤمنين، وحجة على المعاندين"[1].

وقال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: "وليس في القرآن والسنة الصحيحة ما يدل على مكان خروج هذه الدَّابَّة وصفتها، وإنما وردت في ذلك أحاديث في صحتها نظر، وظاهر القرآن أنها دابَّة تنذر الناس بقرب العذاب والهلاك، والله أعلم"[2].

ومن تلك الأوصاف التي وردت في وصف الدَّابَّة، وهي كما قدمنا لم يثبت منها شيء عن النبي ﷺ، وإنما هي أقوال وروايات متعارضة مذكورة في تضاعيف كتب المفسرين ومن اعتنى بالملاحم والفتن، الله أعلم بها، وذكري لبعضها هو من باب دفع شهوة من يحب الاطلاع، ومن أراد المزيد فلينظر تلك الصفات في مظانها[3]:

فقيل: إنها ملمعة ذات وبر وريش، وروي في هذا عن النبي ﷺ حديثاً لا يثبت، وفيه أنَّ حذيفة بن اليمان ﷺ سأل النبي ﷺ عن مكان خروج الدَّابَّة، فقال النبي ﷺ: "من أعظم المساجد حرمة على الله، بينما عيسى يطوف بالبيت ومعه المسلمون، إذ تضطرب الأرض تحتهم، تحرك القنديل، وينشق الصفا مما يلي المسعى، وتخرج الدَّابَّة من الصفا، أول ما يبدو رأسها، ملمعة ذات وبر وريش، لم يدركها طالب، ولن يفوتها هارب، تسم الناس مؤمن وكافر، أما المؤمن فتترك وجهه كأنه كوكب دري، وتكتب بين

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (٣/ ١٢٦١ – ١٢٦٢).

(٢) شرح لمعة الاعتقاد (ص ١١٠).

(٣) ينظر من أراد الاطلاع عليها: تفسير الطبري (٢٠/ ١٥ – ١٦)، وزاد المسير لابن الجوزي (٦/ ١٩٠ – ١٩٣)، ومعالم التنزيل للبغوي (٣/ ٤٢٩)، والتفسير الكبير للرازي (١٢/ ٢١٧ – ٢١٨)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٣/ ١٥٦)، والتذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة للقرطبي (٣/ ١٣٣٥ – ١٣٣٦)، وتفسير ابن كثير (٣/ ٣٨٧ – ٣٨٨)، والدر المنثور للسيوطي (١١/ ٤٠١– ٤١٢)، وفتح القدير للشوكاني (٤/ ١٥١)، والإشاعة لأشراط الساعة للبرزنجي (ص ٣٠١ – ٣٠٢)، ولوامع الأنوار للسفاريني (٢/ ١٤٦ – ١٤٧)، وروح المعاني للألوسي (٢٠/ ٢٢ – ٢٤).

عينيه مؤمن، وأما الكافر فتنكت بين عينيه نكتة سوداء كافر"[1].

وقيل: إنها ذات طول وحجم كبير ووبر وقوائم، وروي في هذا عن النبي ﷺ حديث لا يثبت، فعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: "تخرج الدَّابَّة من أجياد، فيبلغ صدرها الركن اليماني، ولمَّا يخرج ذنبها بعد، وهي دابة ذات وبر وقوائم"[2].

وقيل فيها ما سبق ذكره عن النزال بن سبرة أنه قال: قيل لعلي بن أبي طالب ﷺ إنَّ ناساً يزعمون أنك دابَّة الأرض. فقال علي: والله إنَّ لدابَّة الأرض ريشاً وزغباً، ومالي ريش ولا زغب، وإنَّ لها لحافراً ومالي من حافر، وإنها لتخرج حضر الفرس الجواد ثلاثاً، وما خرج ثلثاها"[3].

وقيل: إنها ذات وبر وريش مؤلفة، وفيها من كل لون، لها أربع قوائم، وهو مروي عن ابن عباس[4].

---

(١) رواه ابن جرير في تفسيره (٢٠/ ١٥)، والبغوي في معالم التنزيل (٣/ ٤٣٠)، وأورد ابن كثير في النهاية في الفتن والملاحم (٢/ ٢١١) ما يتعلق بوقت خروجها وقال: "في إسناده نظر"، وفي التفسير (٣/ ٣٨٧)، وقال: "إسناده لا يصح"، والحديث معل بعلتين، أولهما: ضعف عصام بن رواد، قال ابن حجر في اللسان (٤/ ١٦٧): "لينه الحاكم"، وثانيهما: ضعف رواية رواد بن الجراح عن سفيان الثوري، وفي الإسناد أنَّ رواد روى الحديث عن سفيان الثوري، قال ابن حجر في التقريب (ص٢١١): "صدوق اختلط بآخرة، وفي حديثه عن الثوري ضعف شديد".

(٢) أخرجه الواحدي في الوسيط (٣/ ١٧٩)، والذهبي في الميزان (٥/ ٤-٥) في ترجمة عقبة بن أبي الحسناء اليماني، وقال عنه: "مجهول"، وذكره الحافظ ابن حجر في اللسان (٤/ ١٧٧) في ترجمة عقبة، وقال عنه: "مجهول"، والحديث ذكره السيوطي في الدر المنثور (١١/ ٤٠٨-٤٠٩)، وعزاه لابن مردويه والبيهقي، وذكره الشيخ الألباني في السلسلة الضعيفة (٣/ ٢٣٤-٢٣٥)، وقال عنه: "ضعيف"، وأعله بعلتين، أولاهما: جهالة فرقد بن الحجاج القرشي جهالة حال، وثانيهما: جهالة عقبة بن أبي الحسناء جهالة عين.

(٣) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (٩/ ٢٩٢٤)، والدر المنثور للسيوطي (١١/ ٤٠٩).

(٤) انظر: تفسير عبد الرزاق (٣/ ٨٤)، والفتن لنعيم بن حماد (٢/ ٦٦٥)، والدر المنثور للسيوطي (١١/ ٤٠٢)، والإشاعة لأشراط الساعة للبرزنجي (ص ٣٠١).

وقيل: إنها مؤلفة ذات زغب وريش، فيها من ألوان الدَّواب كلها، وفيها من كل أمة سيما، وسيماها من هذه الأمة أنها تكلم بلسان عربي مبين، وهو مروي عن ابن عباس[1].

وقيل: إنها مثل الحربة الضخمة، وهو مروي عن ابن عباس[2].

وقيل: إنَّ فيها من كل لون، ما بين قرنيها فرسخ للراكب، وهو مروي عن أبي هريرة[3].

وقيل: ما لها ذنب ولها لحية، وهو مروي عن علي حكاه عنه محمد بن كعب القرظي[4].

وقيل: رأسها رأس ثور ، وعينها عين خنزير، وأذنها أذن فيل ، وقرنها قرن أيل[5]، وعنقها عنق نعامة، وصدرها صدر أسد، ولونها لون نمر، وخاصرتها خاصرة هر، وذنبها ذنب كبش، وقوائمها قوائم بعير، بين كل مفصلين منها اثنا عشر ذراعاً، وهو مروي عن أبي الزبير حكاه عنه ابن جريج[6].

وقيل: إنه حينما تخرج رأسها يمس السحاب، ورجلاها ما خرجت من

---

(١) انظر: أخبار مكة للفاكهي (٤/ ٣٩)، والدر المنثور للسيوطي (١١/ ٤١١)، والإشاعة لأشراط الساعة للبرزنجي (ص ٣٠١).

(٢) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (٩/ ٢٩٢٤)، وتفسير ابن كثير (٣/ ٣٨٨).

(٣) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (٩/ ٢٩٢٥)، والدر المنثور للسيوطي (١١/ ٤٠٩ – ٤١٠).

(٤) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (٩/ ٢٩٢٤)، ومعالم التنزيل للبغوي (٣/ ٤٢٩)، والنكت والعيون للماوردي (٤/ ٢٢٦)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٣/ ١٥٦)، وتفسير ابن كثير (٣/ ٣٨٨).

(٥) الإيل: هو الذكر من الأوعال.
انظر: لسان العرب لابن منظور (١١/ ٣٥ – ٣٦).

(٦) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (٩/ ٢٩٢٤)، والنكت والعيون للماوردي (٤/ ٢٢٦)، ومعالم التنزيل للبغوي (٣/ ٤٢٩)، وزاد المسير لابن الجوزي (٦/ ١٩٠)، والدر المنثور للسيوطي (١١/ ٤١١).

الأرض، وهو مروي عن عبد الله بن عمرو[1].

وقيل: إنها زباء ذات وبر تناغي السماء، قاله الشعبي[2].

وقيل: إنَّ لها أربعة قوائم وزغباً وريشاً وجناحين، قاله مقاتل[3].

وقيل: إنَّ طولها ستون ذراعاً ذات قوائم ووبر، حكاه ابن الأثير والبيضاوي والدميري[4].

وقيل: إنَّ وجهها وجه رجل، وسائر خلقتها كخلقة الطير، وهو مروي عن وهب بن منبه[5].

إلى غير ذلك من أقوال لا فائدة من الإطالة فيها يجدها من أراد الاطلاع عليها في مظانها التي تقدمت الإشارة إليها، والذي يهمنا من هذه الصفات الكثيرة ما تقدم ذكره من القول بأنَّ الدَّابَّة حيوان ذو خلق عظيم مهول، وهي آية من آيات الله يخرجها الله لخلقه من الأرض آخر الزمان، قرب قيام الساعة، فتكلمهم وتسمهم فَيُعْرَفُ مؤمنهم وكافرهم، والله تعالى أعلم.

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٢٠/ ١٦)، والفتن لنعيم بن حماد (٢/ ٦٦٢)، وأخبار مكة للفاكهي (٤/ ٤٠)، ومعالم التنزيل للبغوي (٣/ ٤٣٠).

(٢) انظر: الفتن لنعيم بن حماد (٢/ ٦٦٥)، والنكت والعيون للماوردي (٤/ ٢٢٦).

(٣) انظر: زاد المسير لابن الجوزي (٦/ ١٩١).

(٤) انظر: النهاية في غريب الحديث لابن الأثير (٢/ ٩٦)، وتفسير البيضاوي (٤/ ٢٧٨)، وحياة الحيوان للدميري (١/ ٤٥٨).

(٥) انظر: معالم التنزيل للبغوي (٣/ ٤٣٠)، وزاد المسير لابن الجوزي (٦/ ١٩١)، وحياة الحيوان للدميري (١/ ٤٦٠).

المبحث الرابع

أسباب خروج الدَّابَّة وظهورها

أشار الله - تبارك وتعالى - في كتابه العزيز إلى أسباب ظهور الدَّابَّة وخروجها للناس وذلك في قوله تعالى:﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لا يُوقِنُونَ﴾[١].

فالآية الكريمة ذكرت أنَّ خروج دابَّة الأرض يكون عند وقوع القول، وأنَّ وقوع القول على الناس له أسبابه، فما القول الوارد في الآية، وما أسباب وقوعه.

فالقول الوارد في الآية أُختلف في المراد به بين العلماء - رحمهم الله - إلى أقوال عدة، مع أننا نجد عباراتهم تدور في فلك ومحيط واحد، وهو وقوع ووجوب الغضب والعذاب من الله تعالى على خلقه.

قال ابن عباس: "القول العذاب"[٢]، وبقوله قال ابن جريج[٣]، وقال قتادة: "القول الغضب"[٤]، وقال مجاهد: "حق العذاب"[٥]، وقال أيضاً: "حق عليهم"[٦]، وقال أيضاً: "أي: حق القول عليهم"[٧]، وقال الفراء: "إذا وجب السخط عليهم"[٨]، وذكر

---

(١) سورة النمل، الآية ٨٢.

(٢) انظر: زاد المسير لابن الجوزي (٦/ ١٩٠).

(٣) انظر: تفسير الطبري (٢٠/ ١٣).

(٤) انظر: تفسير الطبري (٢٠/ ١٣)، وزاد المسير لابن الجوزي (٦/ ١٩٠)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٣/ ١٥٥).

(٥) انظر: تفسير الطبري (٢٠/ ١٣).

(٦) انظر: تفسير الطبري (٢٠/ ١٣)، وتفسير ابن أبي حاتم (٩/ ٢٩٢٢)، والدر المنثور للسيوطي (١١/ ٤٠٠).

(٧) تفسير مجاهد (٢/ ٤٧٥)، وانظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٣/ ١٥٥).

(٨) معاني القرآن (٢/ ٣٠٠).

ابن قتيبة: أنَّ القول هو الحجة[1]، وسُئل الحسن البصري عن وقوع القول فقال: " إنَّ الله يومئذ على أهل الأرض ساخط "[2]، وسألتْ حفصة بنت سيرين أبا العالية عن وقوع القول في الآية فقال: "أوحى الله إلى نوح:﴿أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلاَّ مَنْ قَدْ آمَنَ﴾[3]، قالت حفصة: فكأنما كان على وجهي غطاء فكشف "[4]، وقال النحاس عن قول أبي العالية السابق: " وهذا من حسن الجواب؛ لأنَّ الناس ممتحنون ومؤخرون؛ لأنَّ فيهم مؤمنين وصالحين، ومن قد علم الله - عز وجل - أنه سيؤمن ويتوب، فلهذا أُمهلوا وأمرنا بأخذ الجزية، فإذا زال هذا وجب القول عليهم، فصاروا كقوم نوح حين قال الله تعالى:﴿أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلاَّ مَنْ قَدْ آمَنَ﴾[5][6].

وقال الواحدي: " ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ﴾ وجب العذاب والسخط عليهم، وذلك حين لا يقبل الله سبحانه من كافر إيمانه، ولم يبق إلا من يموت كافراً في علم الله سبحانه "[7].

وقال القرطبي: " قال العلماء: معنى ﴿وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ﴾ أي: وجب الوعيد عليهم "[8].

وقال البقاعي: " ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ﴾ أي: حان حين وقوع الوعيد الذي هو

---

(١) انظر: زاد المسير لابن الجوزي (٦/ ١٩٠).

(٢) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (٩/ ٢٩٢٢).

(٣) سورة هود، الآية ٣٦.

(٤) انظر: تفسير عبد الرزاق (٣/ ٨٣)، وتفسير الطبري (٢٠/ ١٣)، وتفسير ابن أبي حاتم (٩/ ٢٩٢٢)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٣/ ١٥٥)، والدر المنثور للسيوطي (١١/ ٤٠٠).

(٥) سورة هود، الآية ٣٦.

(٦) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٣/ ١٥٥ - ١٥٦).

(٧) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٢/ ٨٠٩).

(٨) التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة (٣/ ١٣٣١).

معنى القول، وكأنه لعظمه لا قول غيره"[1].

وبعد معرفة معنى القول؛ وهو غضب الله تبارك وتعالى، ووقوع ووجوب وعيده وعذابه، نتسآل عن سبب وقوع القول الذي من أجله أخرج الله تعالى الدَّابَّة وبقية أشراط الساعة، ومن ثم أقام الساعة وحاسب الخلائق، ولعل الجواب قد أشار إليه الله – عز في علاه – في تضاعيف الآية الكريمة حينما قال: ﴿أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لا يُوقِنُونَ﴾[2]، وفي ما بعدها من آيات حينما قال: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ، حَتَّى إِذَا جَاؤُوا قَالَ أَكَذَّبْتُم بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ، وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لا يَنطِقُونَ﴾[3].

فحينما لا يؤمن الناس بآيات الله تبارك وتعالى؛ المسموعة والمرئية، وعندما يظهر الفساد، وينتشر في الأرض والبحر، وتُترك أوامر الله، ويُبدل دين الله، وتُضيَّع الحقوق، وتُعطل الحدود، وتنحدر البشرية انحداراً لا يُرجى بعده صلاح وفلاح، وينحسر الخير، ويكثر الخبث، ويقل العلم، ويتفشى الجهل، ويُترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، عندها يقع القول من الله تبارك وتعالى، فتخرج الدَّابَّة من مكمنها، وتُبرز مؤمن الناس من كافرهم بوسمها وخطمها لهم.

قال ابن مسعود ﷺ لأصحابه: "أكثروا تلاوة القرآن قبل أنْ يرفع، قالوا: هذه المصاحف ترفع؛ فكيف بما في صدور الرجال؟ قال: يسرى عليه ليلاً فيصبحون منه قفراً، وينسون لا إله إلا الله، ويقعون في قول الجاهلية وأشعارهم، وذلك حين يقع

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٥/ ٤٥١).

(٢) سورة النمل، الآية ٨٢.

(٣) سورة النمل، الآيات ٨٣ – ٨٥.

القول عليهم"[1].

وقال ابن عمر رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الأَرْضِ﴾[2]: "هو حين لا يأمرون بمعروف ولا ينهون عن منكر"[3].

وبقول ابن عمر قال جمع من العلماء والمفسرين[4]، قال الطبري رحمه الله: "وقال جماعة من أهل العلم: خروج هذه الدَّابَّة التي ذكرها حين لا يأمر الناس بمعروف ولا ينهون عن منكر"[5].

وقال الحسن البصري رحمه الله: "تخرج دابَّة الأرض إذا فسد الناس"[6].

وذكر أبو سليمان الدمشقي أنَّ خروجها يكون عندما لا يُرجى صلاح في الخلق[7]، وهو الذي يفهم أيضاً من قول أبي العالية السابق ذكره.

وقال القرطبي – رحمه الله – بعد أنْ ذكر معنى وقوع القول: "فتماديهم في العصيان والفسوق والطغيان، وإعراضهم عن آيات الله تعالى، وتركهم تدبرها،

---

(١) انظر: سنن الدارمي (٢/ ٥٣٠)، وتفسير ابن أبي حاتم (٩/ ٢٩٢٢)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٣/ ١٥٥)، والتذكرة للقرطبي (٣/ ١٣٣١)، والدر المنثور للسيوطي (١١/ ٤٠٠).

(٢) سورة النمل، الآية ٨٢.

(٣) انظر: المصنف لابن أبي شيبة (٧/ ١١٩، ٥٠٤)، وتفسير عبد الرزاق (٣/ ٨٥)، وتفسير ابن أبي حاتم (٩/ ٢٩٢١)، وتفسير الطبري (٢٠/ ١٣ – ١٤)، والفتن لنعيم (٢/ ٦٦٢، ٦٦٦)، والمستدرك للحاكم (٤/ ٤٨٥)، ومعالم التنزيل للبغوي (٣/ ٤٢٨)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٣/ ١٥٥).

(٤) انظر: زاد المسير لابن الجوزي (٦/ ١٩٠)، وروح المعاني للألوسي (٢٠/ ٢١).

(٥) تفسير الطبري (٢٠/ ١٣ – ١٤).

(٦) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (٩/ ٢٩٢٦).

(٧) انظر: زاد المسير لابن الجوزي (٦/ ١٩٠).

والنزول على حكمها وانتهائهم في المعاصي إلى ما لا ينجع معه موعظة، ولا يصرفهم عن غيهم تذكرة، يقول عز من قائل فإذا صاروا كذلك: ﴿أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ﴾[1]، أي دابّة تعقل وتنطق، وذلك - والله أعلم - ليقع لهم العلم بأنه آية من قبل الله تعالى ضرورة؛ فإنَّ الدَّواب في العادة لا كلام لها ولا عقل"[2].

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله: "هذه الدَّابَّة تخرج في آخر الزمان عند فساد الناس وتَرْكِهم أوامر الله وتبديلهم الدين الحق، يخرج الله لهم دابَّة من الأرض"[3].

وقال الإمام البقاعي رحمه الله: "ثم علل سبحانه إخراجه لها بقوله: ﴿أَنَّ النَّاسَ﴾ أي: بما هم ناس لم يصلوا إلى أول أسنان الإيمان، وهو سن الذين آمنوا، بل هم نائسون مترددون مذبذبون تارة وتارة، ﴿كَانُوا﴾ أي : كوناً هو لهم كالجبلة، ﴿بِآيَاتِنَا﴾ أي: المرئيات؛ التي كتبناها بعظمتنا في ذوات العالم، والمسموعات المتلوات؛ التي أتيناهم بها على ألسنة أكمل الخلق؛ الأنبياء والرسل، حتى ختمناهم بإمامهم الذي هو أكمل العالمين؛ قطعاً لحجاجهم، ورداً عن لجاجهم، ولذا عممنا برسالته وأوجبنا على جميع العقل إتباعه، ﴿ لا يُوقِنُونَ ﴾ من اليقين، وهو إتقان العلم بنفي الشبه، بل هم فيها مزلزلون، فلم يبق بعده ﷺ إلا كشف الغطاء عما ليس من جنس البشر بما لا تثبت له عقولهم"[4].

وقال العلامة الألوسي رحمه الله: "وهذا ظاهر في أنَّ خروج الدَّابَّة حين لا يبقى في الأرض خير"[5].

---

(١) سورة النمل، الآية ٨٢.

(٢) التذكرة (٣/ ١٣٣١)، وانظر أيضاً في مثل كلام الإمام القرطبي: المنهاج للحليمي (١/ ٤٢٦- ٤٢٧).

(٣) تفسير ابن كثير (٣/ ٣٨٦).

(٤) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٥/ ٤٥٢).

(٥) روح المعاني (٢٠/ ٢١).

وقال الشيخ الألباني رحمه الله: "سوف يأتي يوم على الإسلام يمحى أثره، وعلى القرآن فيرفع فلا يبقى منه ولا آية واحدة، وذلك لا يكون قطعاً إلا بعد أنْ يسيطر الإسلام على الكرة الأرضية جميعها، وتكون كلمته فيها هي العليا كما هو نص قول الله تبارك وتعالى : ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾[1]، وكما شرح رسول الله ﷺ ذلك في أحاديث كثيرة ... وما رَفْعُ القرآن الكريم في آخر الزمان إلا تمهيداً لإقامة الساعة على شرار الخلق؛ الذين لا يعرفون شيئاً من الإسلام البتة، حتى ولا توحيده !"[2].

وبعد: فما سبق ذكره من الآيات الكريمات السابقة، ومن أقوال الصحابة الكرام، وعلماء الإسلام أشار إليه المصطفى ﷺ في كثير من الأحاديث النبوية المتعلقة بالساعة وأشراطها، ومنها على سبيل المثال لا الحصر:

حديث أنس بن مالك ﷺ، وفيه أنَّ النبي ﷺ قال: "إنَّ من أشراط الساعة: أنْ يُرْفع العلم، ويثبت الجهل، ويُشْرب الخمر، ويظهر الزنا"[3].

وحديث أبي هريرة ﷺ، وفيه أنَّ النبي ﷺ قال: "ليأتين على الناس زمان لا يبالي المرء بما أخذ المال أمن حلال أم من حرام"[4].

---

(١) سورة التوبة، الآية ٣٣، وسورة الفتح، الآية ٢٨، وسورة الصف، الآية ٩.

(٢) السلسلة الصحيحة (١/ ١٢٧ – ١٢٨).

(٣) رواه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب رفع العلم وظهور الجهل (١/ ٤٣، رقم٨٠)، ومسلم في صحيحه، كتاب العلم، باب رفع العلم وقبضه، وظهور الجهل والفتن في آخر الزمان (٤/ ١٦٣٢، رقم ٢٦٧١).

(٤) رواه البخاري في صحيحه، كتاب البيوع، باب قول الله عز وجل:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافاً مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[سورة آل عمران، الآية١٣٠] (٢/ ٧٣٣، رقم ١٩٧٧).

وحديث ثوبان ﷺ، وفيه أنَّ النبي ﷺ قال: "لا تقوم الساعة حتى تلحق قبائل من أمتي بالمشركين، وحتى تعبد قبائل من أمتي الأوثان، وإنه سيكون في أمتي كذابون ثلاثون، كلهم يزعم أنه نبي، وأنا خاتم النبيين لا نبي بعدي، ولا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لا يضرهم من خالفهم حتي يأتي أمر الله"[1].

وحديث أبي هريرة ﷺ، وفيه أنَّ النبي ﷺ قال: "يتقارب الزمان، وينقص العمل، ويُلقى الشح، وتظهر الفتن، ويكثر الهرج، قالوا: يا رسول الله، أيم هو ؟ قال: القتل القتل"[2].

وحديث حذيفة بن اليمان ﷺ، وفيه أنَّ النبي ﷺ قال: "يُدرس[3] الإسلام كما يُدرس وشي الثوب، حتى لا يُدرى ما صيام ولا صلاة ولا نسك ولا صدقة، وليُسرى على كتاب الله - عز وجل - في ليلة فلا يبقى في الأرض منه آية، وتبقى طوائف من الناس الشيخ الكبير والعجوز يقولون: أدركنا آباءنا على هذه الكلمة "لا إله إلا الله" فنحن نقولها... " الحديث[4].

---

(١) رواه أبو داود في السنن، كتاب الفتن والملاحم، باب ذكر الفتن ودلائلها (٤/ ٤٥٠-٤٥٢، رقم ٤٢٥٢)، والترمذي في الجامع، باب لا تقوم الساعة حتى يخرج كذابون (٤/ ٤٣٢، رقم ٢٢١٩)، وقال: "وهذا حديث حسن صحيح"، وابن ماجة في السنن، كتاب الفتن، باب ما يكون من الفتن (٢/ ١٣٠٤، رقم ٣٩٥٢)، والحديث صححه الشيخ الألباني في صحيح أبي داود (٣/ ٨٠١).

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الفتن، باب ظهور الفتن (٦/ ٢٥٩٠، رقم ٦٦٥٢)، ومسلم في صحيحه، كتاب العلم، باب رفع العلم وقبضه، وظهور الجهل والفتن في آخر الزمان (٤/ ١٦٣٣، رقم٢٦٧٢)، وفي رواية مسلم "ويقبض العلم" بدلاً من: "وينقص العمل".

(٣) أي: ذهابه وضياعه ومحو أثره.

انظر: لسان العرب لابن منظور (٦/ ٧٩).

(٤) رواه ابن ماجة في السنن، كتاب الملاحم، باب ذهاب القرآن والعلم (٢/ ١٣٤٤-١٣٤٥، رقم٤٠٤٩)، ونعيم بن حماد في الفتن (٢/ ٥٩٨)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٤٧٣)، وقال: "هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه"، ووافقه الذهبي، والحديث صححه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة (١/ ١٢٧).

المبحث الخامس

عمل الدَّابَّة ووظيفتها

الله – عز في علاه – خلق دابَّة الأرض وسيخرجها للناس في آخر الزمان عند قرب قيام الساعة، وكلَّفها بمهام وأعمال تقوم بها، جاء ذكر بعضها في كتاب الله تبارك وتعالى، وفي سنة المصطفى ﷺ الثابتة الصحيحة، وقد اجتهد علماء الإسلام ومفسرو القرآن الكريم وشراح الأحاديث النبوية قديماً بذكر بعض من تلك الأعمال والمهام، حتى وجدنا بعضهم اجتهد وذكر بعضاً من الأعمال التي لم يثبت بها خبر.

ولعل من أهم الأعمال التي ستقوم بها الدَّابَّة – بإذن الله تعالى – عند خروجها قرب قيام الساعة وثبت بها الخبر ما يلي:

أولاً: خروجها للناس من الأرض وظهورها لهم، وبالتالي رؤيتهم لها، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الأَرْضِ﴾[١].

ثانياً: تكليمها للناس، كما قال تعالى:﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لا يُوقِنُونَ﴾[٢].

وفي المقصود بالتكليم الوارد في الآية من قبل الدَّابَّة وماهيته مسألتان وقع فيهما خلاف بين العلماء، وهما: المراد بتكليم الدَّابَّة للناس، وماهية وحقيقة الكلام الذي تكلمهم به.

المسألة الأولى: المراد بتكليم الدَّابَّة للناس:

اختلف العلماء – رحمهم الله – في المراد بقوله تعالى:﴿تُكَلِّمُهُمْ﴾ إلى أقوال

---

(١) سورة النمل، الآية ٨٢.

(٢) سورة النمل، الآية ٨٢.

عدة، وذلك بناء على ما جاء من قراءات في قوله تعالى:﴿تُكَلِّمُهُمْ﴾:

القول الأول: إنَّ المقصود بالتكليم: المخاطبة والإخبار والكلام الحقيقي من قِبل الدَّابَّة للناس، وذلك بناء على قراءة عامة أهل الأمصار لقوله تعالى:﴿تُكَلِّمُهُمْ﴾ بضم التاء وفتح الكاف وتشديد اللام، ويؤيد هذا القول قراءة أبي بن كعب لقوله:﴿تُكَلِّمُهُمْ﴾ حيث قرأها:﴿تُنَبِّئُهُمْ﴾، وقراءة يحي بن سلام:﴿تُحَدِّثُهُمْ﴾، ويذكر السمين الحلبي أنَّ قراءتي أبي ويحيى هما تفسيران لقوله: ﴿تُكَلِّمُهُمْ﴾، وهذا القول هو اختيار جماهير العلماء قديماً وحديثاً، وهو المروي عن علي وابن عباس؛ الذي روي عنه ثلاث روايات في المسألة، وهو المروي أيضاً عن الحسن وقتادة، والنخعي، وهو ما رجحه مكي بن أبي طالب، وذكر الفراء اجتماع القراء على قراءة التشديد هذه[(١)].

يقول الإمام الطبري – رحمه الله – في تفسيره: "والقراءة التي لا أستجيز غيرها في ذلك ما عليه قرّاء الأمصار، وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل"[(٢)]، ثم ساق بإسناده عن ابن عباس وقتادة أنَّ المراد بـ ﴿تُكَلِّمُهُمْ﴾ في الآية هو التحديث والإنباء[(٣)].

وهذا القول هو الذي اختاره القرطبي أيضاً في تذكرته، حيث قال: "﴿أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ﴾[(٤)]، أي: دابَّة تعقل وتنطق، وذلك والله أعلم ليقع لهم

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٢٠/ ١٦)، وتفسير ابن أبي حاتم (٩/ ٢٩٢٦)، والكشف عن وجوه القراءات السبع لمكي بن أبي طالب (٢/ ١٦٧)، ومعاني القرآن للفراء (٢/ ٣٠٠)، وأخبار مكة للفاكهي (٤/ ٤٣)، والنكت والعيون للماوردي (٤/ ٢٢٧)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٣/ ١٥٧)، والدر المصون للسمين الحلبي (٨/ ٦٤٢)، وتفسير ابن كثير (٣/ ٣٨٦-٣٨٧)، والنهاية في الفتن والملاحم لابن كثير (١/ ٢٠٨)، والإشاعة لأشراط الساعة للبرزنجي (ص ٣٠٠)، وفتح القدير للشوكاني (٤/ ١٥٢).

(٢) تفسير الطبري (٢٠/ ١٦).

(٣) انظر: تفسير الطبري (٢٠/ ١٦).

(٤) سورة النمل، الآية ٨٢.

العلم؛ بأنه آية من قبل الله تعالى ضرورة؛ فإنَّ الدَّواب في العادة لا كلام لها ولا عقل"[1].

القول الثاني: إنَّ المقصود بالتكليم الوارد في الآية هو التجريح، وذلك من الكلْم الذي بمعنى الجرح[2]، لا من الكلام الذي بمعنى التحديث، والتفعيل الذي في الآية هو للتكثير، ويؤيد ذلك قراءة أبي زرعة ابن عمرو الكوفي لقوله:﴿تُكَلِّمُهُمْ﴾ بفتح التاء وتسكين الكاف وتخفيف اللام بـ﴿تَكْلِمُهُمْ﴾ وهي قراءة شاذة، وهي مروية أيضاً عن ابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد والحسن وعاصم الجحدري وأبي رجاء العطاردي، وقال عكرمة في معناها: "أي تسمهم وسماً"[3].

ولعل أصحاب هذا القول يستشهدون لقولهم بما جاء في حديث أبي أمامة ﷺ من أنَّ النبي ﷺ قال: "تَخْرُجُ الدَّابَّة، فَتَسِمُ الناس على خَرَاطِيمِهِمْ، ثم يَغْمُرُونَ فيكم، حتى يشتري الرجل البعير، فيقول: ممن اشتريته ؟ فيقول: اشتريته من أحد الْمُخَطَّمِينَ"[4].

القول الثالث: إنَّ المقصود بالتكليم في الآية هو فعل الأمرين معاً؛ أعني الكلام الحقيقي بمعنى المخاطبة، والكلْم الذي بمعنى الوسم والتجريح، وهذا القول مروي عن ابن عباس رضي الله عنهما، فقد روي عنه أنه سئل عن المقصود بالتكليم

---

(١) التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة (٣/ ١٣٣١).

(٢) انظر في معنى الكلم الذي بمعنى الجرح: القاموس المحيط للفيروز أبادي (٤/ ١٧٢).

(٣) انظر: تفسير الطبري (٢٠/ ١٦)، ومختصر في شواذ القرآن لابن خالويه (ص١١٢)، والكشف عن وجوه القراءات السبع لمكي بن أبي طالب (٢/ ١٦٧)، وبحر العلوم للسمرقندي (٢/ ٥٠٥)، ومعالم التنزيل للبغوي (٣/ ٤٢٨)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٣/ ١٥٧)، والدر المصون للسمين الحلبي (٨/ ٦٤٢)، وتفسير ابن كثير (٣/ ٣٨٧)، والنهاية في الفتن والملاحم لابن كثير (١/ ٢٠٨)، والإشاعة لأشراط الساعة للبرزنجي (ص ٣٠٠)، وفتح القدير للشوكاني (٤/ ١٥٢).

(٤) تقدم تخريجه في أثناء المبحث الثاني ، ص (١٧ - ١٨).

الوارد في الآية هل هو بمعنى المخاطبة، أم بمعنى الجرح ؟ فقال " كلاً والله تفعل "[1].

قال أبو الجوزاء: سألت ابن عباس عن هذه الآية: ﴿تُكَلِّمُهُمْ﴾ أو: ﴿تَكْلِمُهُمْ﴾؟ فقال: هي والله ﴿ تُكَلِّمُهُمْ﴾ و ﴿تَكْلِمُهُمْ﴾؛ تكلم المؤمن، وتكلم الكافر والفاجر أي تجرحه"[2].

قال ابن كثير - رحمه الله - بعد أنْ ذكر قول ابن عباس السابق: " وهو قولٌ حسن، ولا منافاة، والله أعلم "[3].

وقال في موطن آخر: " وهذا القول ينتظم من مذهبين، وهو قوي حسن جامع لهما، والله تعالى أعلم "[4].

والذي يظهر لي أنه لا منافاة بين القول بأنَّ من أعمال الدَّابَّة التكليم؛ الذي بمعنى المخاطبة، والتكليم؛ الذي بمعنى التجريح والوسم.

فالأول؛ ثبت بكتاب الله تبارك وتعالى؛ حينما قال سبحانه:﴿تُكَلِّمُهُمْ﴾ على قراءة التشديد؛ التي قرأ بها عامة أهل الأمصار، وجماهير القراء كما تقدم، وكما يفهم أيضاً من سياق الآية حيث ذكر فيها: أنَّ الدَّابَّة ستبين للناس أنهم بآيات الله لا يوقنون، فقد قال سبحانه:﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لا يُوقِنُونَ﴾[5].

---

(١) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (٩/ ٢٩٢٦)، والكشف عن وجوه القراءات السبع لمكي بن أبي طالب (٢/ ١٦٧)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٣/ ١٥٨)، وتفسير ابن كثير (٣/ ٣٨٧)، والإشاعة لأشراط الساعة للبرزنجي (ص ٣٠٠).

(٢) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (٩/ ٢٩٢٦)، ومعالم التنزيل للبغوي (٣/ ٤٢٨)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٣/ ١٥٨)، والدر المنثور للسيوطي (١١/ ٤٠١).

(٣) تفسير ابن كثير (٣/ ٣٨٧).

(٤) النهاية في الفتن والملاحم (١/ ٢٠٨).

(٥) سورة النمل، الآية ٨٢.

والثاني؛ أعني به الوسم والتجريح، فقد ثبت به الحديث عن النبي ﷺ؛ كما في حديث أبي أمامة ﷺ السابق ذكره في غير موطن، حيث جاء فيه: "تَخْرُجُ الدَّابَّة، فَتَسِمُ الناس على خَرَاطِيمِهِمْ"[1]، أضف إلى ذلك أنَّ تكليمها للكفار بأنهم لا يؤمنون بآيات الله هو في حقيقة الأمر أيضاً تجريح لهم ببيان ظلالهم وعدم عدالتهم، ومنه قول الشاعر:

وجُرحُ السَّيف تَدْمُلُه فَيَبْرَا   ويبقى الدَّهرَ ما جَرَحَ اللِّسان[2].

المسألة الثانية: ماهية وحقيقة الكلام الذي تكلم به الدَّابَّة الناس:

لقد وقع الخلاف بين العلماء في حقيقة كلام الدَّابَّة وماهيته من وجهين:

أولهما: هل كلام الدَّابَّة يكون بلسان الحال أو بلسان المقال ؟ وهل كلامها يكون بظهور الآيات منها من غير نطق ولا لفظ، أو أنَّ كلامها كلام منطوق بحرف وصوت؟[3].

والصواب الذي يفهم من الآية، والذي يبين ما في خروج الدَّابَّة وكلامها للناس من إعجاز وإثارة وغرابة؛ أنَّ الكلام يكون بلسان المقال بلفظ وحرف وصوت، وهذا لا يمنع من أنَّ خروجها ووسمها لمؤمنهم وكافرهم بما هم أهله كلمات واعظات لمن ألقى السمع وهو شهيد.

وثانيهما: في كنه وحقيقة الكلام وماهيته، وقد وقع خلاف بين العلماء في ذلك إلى أقوال عدة، هي عبارة عن تفاسير واجتهادات حول الآية الكريمة،

---

(١) تقدم تخريجه في أثناء المبحث الثاني، ص (١٧ – ١٨).

(٢) انظر البيت في البيان والتبيين للجاحظ (ص ١٦٧)، ولسان العرب لابن منظور (١١/ ٢٥١)، وقد ذكر ابن منظور: أنَّ ابن الأعرابي أنشده.

(٣) انظر: النكت والعيون للماوردي (٤/ ٢٢٧).

والأحاديث النبوية الواردة في ذلك، وإنْ تدبر وتمعن الناظر في هذه الأقوال يجد أنَّ مصبها ومآلها واحد؛ وهو التوبيخ والتقريع لمن لم يؤمن بالله وآياته، وبيان حاله.

ولعل من أهم تلك الأقوال؛ التي ذكرها أهل العلم رحمهم الله:

القول الأول: ولعله أقرب الأقوال إلى الصواب من وجهة نظري، والله أعلم، وهو المفهوم من سياق الآية الواردة في أمر الدَّابَّة، وهي قوله تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لا يُوقِنُونَ﴾[1]، حيث يفهم من سياق الآية الكريمة أنَّ الدَّابَّة تكلم الناس بقولها لهم: ﴿أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لا يُوقِنُونَ﴾، وهذا القول مروي عن علي وابن عباس وابن مسعود وابن عمرو وابن عمر وقتادة وعطاء الخرساني ومقاتل، وهو اختيار ابن جرير، وذهب ابن كثير إلى أنَّ هذا القول فيه نظر، وقد ذكر مقاتل أنَّ حديثها يكون بالعربية[2].

وقد ذكر السمين الحلبي - بعد أنْ ذكر أنَّ هذا القول يحتمل أنْ يكون من كلام الله وهو الظاهر عنده، ويحتمل أنْ يكون من كلام الدَّابَّة - اعتراضاً على قول من قال إنَّ هذا الكلام من كلام الدَّابَّة، وقد أجاب على هذا الاعتراض بجواب حسن، ونص كلامه هو: "ثم هو محتمل لأنَّ يكون من كلام الله تعالى وهو الظاهر، وأنْ يكون من كلام الدَّابَّة، فيعكر عليه ﴿بِآيَاتِنَا﴾. ويجاب عنه: إمَّا باختصاصها، فيصبح إضافة الآيات إليها كقول أتباع الملوك: دوابنا وخيلنا، وهي لملكهم، وإمَّا على

---

(١) سورة النمل، الآية ٨٢.

(٢) انظر: تفسير الطبري (٢٠/ ١٦)، وتفسير ابن أبي حاتم (٩/ ٢٩٢٦)، وأخبار مكة للفاكهي (٤/ ٣٩ - ٤٠)، والنكت والعيون للماوردي (٤/ ٢٢٨)، ومعالم التنزيل للبغوي (٣/ ٤٢٨)، وزاد المسير لابن الجوزي (٦/ ١٩٣)، وتفسير ابن كثير (٣/ ٣٨٧)، والنهاية في الفتن والملاحم لابن كثير (١/ ٢٠٨)، والدر المنثور للسيوطي (١١/ ٤٠)، وفتح القدير للشوكاني (٤/ ١٥٢).

حذف مضاف، أي: بآيات ربنا. وتكلمهم إنْ كان من الحديث فيجوز أنْ يكون: إمَّا لإجراء ﴿تُكَلِّمُهُمْ﴾ مجرى تقول لهم، وإمَّا على إضمار القول: أي: فتقول كذا. وهذا القول تفسير لتكلمهم"(١).

وذكر النسفي توجيهاً مقارباً حيث قال: "المعنى: بآيات ربنا، أو هي: حكاية لقول الله تعالى عند ذلك"(٢).

وقولي بأن هذا القول أقرب الأقوال إلى الصواب لا يعني بأنَّ الدَّابَّة لا تكلم الناس إلا بهذا القول فقط، فالذي أعنيه أنَّ هذا الكلام هو الوارد في التكليم، ولعله سيكون لها كلام غير هذا الله أعلم بكنهه.

وفي قوله تعالى: ﴿أَنَّ النَّاسَ﴾ قراءتان:

الأولى: قراءة فتح همزة ﴿ أنَّ ﴾ وتكون الآية ﴿أَنَّ النَّاسَ﴾، وقد قراء بها: الكوفيون ويعقوب وابن أبي إسحاق ويحيى، وموضع الجملة - كما يقوله أبو عبيد - نصب بوقوع الفعل عليها، أي أنَّ الدَّابَّة تخبرهم: أنَّ الناس - وهم الكفار - كانوا بآيات الله لا يوقنون.

الثانية: قراءة كسر همزة ﴿ إنَّ ﴾، وتكون القراءة ﴿إِنَّ النَّاسَ﴾، وقد قرأ بها الحجازيون والشاميون والبصريون، كما قرأ بها الكسائي والفراء، فتكون جملة ﴿إِنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لا يُوقِنُونَ﴾ مستأنفة، ولا تكون من كلام الدَّابَّة، حيث إنَّ الجملة الأولى انتهت عند قوله ﴿تُكَلِّمُهُمْ﴾، ويكون كلامها للناس بكلام آخر اختلف فيه إلى أقوال عدة، كما صرح به جماعة من المفسرين، وقد صرح بعضهم كالأخفش إنَّ كسر همزة إنَّ في قوله تعالى : ﴿إِنَّ النَّاسَ﴾ هو على تقدير القول ، أي تقول لهم:

---

(١) الدر المصون (٨/ ٦٤٣)، وانظر أيضاً: حاشية الشهاب للخفاجي (٧/ ٢٦٩).

(٢) مدارك التنزيل، وحقائق التأويل (٢/ ٦٢٢).

﴿إِنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لا يُوقِنُونَ﴾ فتكون الجملة من كلام الدَّابَّة[1].

وذهب مكي بن أبي طالب القيسي إلى أنَّ قراءة الكسر تُحْمَل على أمرين مع تحسينه لذلك واختياره، أولهما: على إضمار القول، أي تقول الدَّابَّة ذلك، وثانيهما: على أنْ يكون الكلام قولاً، ونص قوله هو: " وقرأ الباقون بكسر الهمزة على إضمار القول، أي: تكلمهم، فتقول: ﴿ إنَّ الناس﴾. وحسُن هذا لأنَّ الكلام قول، فدل: ﴿تُكَلِّمُهُمْ﴾ على القول المحذوف؛ لأنه قول، وهو الاختيار "[2].

وقال الإمام الطبري - رحمه الله - بعد أنْ ذكر القراءتين السابقتين وتوجيههما: "والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان متقاربتا المعنى مستفيضتان في قراءة الأمصار، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب "[3].

القول الثاني: هو منبثق من القول السابق؛ لكن فيه زيادة، وهو أنَّ الدَّابَّة تكلم الناس بلسان ذلق[4]، وبصوت يسمعه من قَرُبَ وَبَعُدَ قائلة: ﴿أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لا يُوقِنُونَ﴾، ومن ثَمَّ تقول: " ألا لعنة الله على الظالمين "، والقول حكاه القرطبي

(١) انظر القراءتين في : معاني القرآن للفراء (٣/ ٣٠٠)، وتفسير الطبري (٢٠/ ١٦)، والكشف عن وجوه القراءات السبع لمكي بن أبي طالب (٢/ ١٦٧)، وبحر العلوم للسمرقندي (٢/ ٥٠٥)، والموضح في وجوه القراءات وعللها لنصر بن علي الفارسي (٢/ ٩٧٣)، ومعالم التنزيل للبغوي (٣/ ٤٢٨)، وزاد المسير لابن الجوزي (٦/ ١٩٣)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٣/ ١٥٨)، والدر المصون للسمين الحلبي (٨/ ٦٤٢-٦٤٣)، وفتح القدير للشوكاني (٤/ ١٥٢).

(٢) الكشف عن وجوه القراءات السبع لمكي بن أبي طالب (٢/ ١٦٧)، وانظر أيضاً: مدارك التنزيل وحقائق التأويل للنسفي (٢/ ٦٢٢).

(٣) تفسير الطبري (٢٠/ ١٦).

(٤) الذلق الطلق الفصيح البليغ .

انظر: لسان العرب لابن منظور (١٠/ ١١٠)، والقاموس المحيط للفيروز أبادي (٣/ ٢٣٤).

عن بعضهم، وذكره النسفي أيضاً، وأضاف أن ذلك يكون بالعربية[1].

القول الثالث: تكلم الدَّابَّة الناس ببطلان الأديان سوى دين الإسلام، وهذا القول قال به السدي[2].

القول الرابع: تقول عن المؤمن: هذا مؤمن، وعن الكافر: هذا كافر، وهذا القول حكاه البغوي وابن الجوزي وأبو حيان والنسفي والدميري عن بعضهم[3].

القول الخامس: تكلم من رآها بأنَّ أهل مكة كانوا بمحمد ﷺ والقرآن لا يوقنون، وهذا القول ذكره الواحدي، وحكاه الدميري عن بعضهم[4].

القول السادس: تكلم الناس بما يسوءهم، وقال به الواحدي والسمرقندي[5]، وقد حكاه القرطبي والشوكاني عن بعضهم[6].

القول السابع: تقول للكافر الذي يفزع للصلاة عند خروجها: طوِّل ما شِئْت أنْ تُطول، فوالله لأخْطِمَنَّك، وهو مروي عن عبد الله بن عمرو بن العاص[7].

القول الثامن: تقول للكافر الذي يفزع للصلاة عند خروجها: ما الصلاة من

---

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٣/ ١٥٨)، ومدارك التنزيل وحقائق التأويل للنسفي (٢/ ٦٢١).

(٢) انظر: معالم التنزيل للبغوي (٣/ ٤٢٨)، وزاد المسير لابن الجوزي (٦/ ١٩٣)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٣/ ١٥٨)، ومدارك التنزيل وحقائق التأويل للنسفي (٢/ ٦٢١)، وحياة الحيوان للدميري (١/ ٤٥٩)، وفتح القدير للشوكاني (٤/ ١٥٢).

(٣) انظر: معالم التنزيل للبغوي (٣/ ٤٢٨)، وزاد المسير لابن الجوزي (٦/ ١٩٣)، والبحر المحيط لأبي حيان (٧/ ٩٧)، ومدارك التنزيل وحقائق التأويل للنسفي (٢/ ٦٢١)، وحياة الحيوان للدميري (١/ ٤٥٩).

(٤) انظر: الوجيز للواحدي (٢/ ٨١٠)، وحياة الحيوان للدميري (١/ ٤٦٠).

(٥) انظر: الوجيز في تفسير الكتاب العزيز للواحدي (٢/ ٨٠٩ - ٨١٠)، وبحر العلوم لأبي الليث السمرقندي (٢/ ٥٠٥).

(٦) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٣/ ١٥٨)، وفتح القدير للشوكاني (٤/ ١٥٢).

(٧) انظر: أخبار مكة للفاكهي (٤/ ٤٢)، والدر المنثور للسيوطي (١١/ ٤٠٣).

حاجتك، ما هذا إلا تعوذاً ورياءً ، فتخطمه ، وهو مروي أيضاً عن عبد الله بن عمرو بن العاص[1].

القول التاسع: تقول للمؤمن: أنت من أهل الجنة، وللكافر: أنت من أهل النار، قاله خالد بن معدان الكلاعي[2].

القول العاشر: تكلم الناس بكلامهم بلسان عربي مبين، وهو مروي عن ابن عباس رضي الله عنهما[3].

القول الحادي عشر: تقول لهم بالعربية بأن كفار مكة كانوا لا يؤمنون بالقرآن، وقال بهذا القول صاحب معرض الإبريز عبد الكريم محمد الأسعد[4].

ثالثاً[5]: وسم الناس مؤمنهم وكافرهم، وذلك كما جاء في حديث أبي أمامة ﷺ الصحيح أنَّ النبي ﷺ قال: "تَخْرُجُ الدَّابَّة، فَتَسِمُ الناس على خَرَاطِيمِهِمْ، ثم يَغْمُرُونَ فيكم، حتى يشتري الرجل البعير، فيقول: ممن اشتريته ؟ فيقول: اشتريته من أحد الْمُخَطَّمِينَ"[6]، وكما جاء أيضاً في حديث أبي هريرة ﷺ المختلف في صحته عن النبي ﷺ أنه قال: "تخرج الدَّابَّة، ومعها عصى موسى عليه السلام، وخاتم سليمان عليه السلام،

---

(١) انظر: الفتن لنعيم بن حماد (٢/ ٦٦٢)، وتفسير الطبري (٢٠/ ١٤ - ١٦)، وقد ذُكر فيه مختصراً عن ابن عمرو وحذيفة، ومعالم التنزيل للبغوي (٣/ ٤٣٠)، وذكر فيه عن ابن عمر مختصراً، والدر المنثور للسيوطي (١١/ ٤١٢)، وقد جاوز السيوطي الصواب حينما عزا القول لعمرو بن العاص بدلاً من ابنه عبد الله، والسيوطي - رحمه الله - عزا القول والقائل لنعيم في الفتن، والذي في الفتن أنَّ القول لعبد الله بن عمرو لا لأبيه عمرو رضي الله عنهما.

(٢) انظر: السنن الواردة في الفتن لأبي عمرو الداني (٦/ ١٢٥٦).

(٣) انظر: الدر المنثور للسيوطي (١١/ ٤١١)، والإشاعة لأشراط الساعة للبرزنجي (ص٣٠١).

(٤) انظر: معرض الإبريز من الكلام الوجيز لعبد الكريم محمد الأسعد (٤/ ١٦٩).

(٥) أي: من أعمال الدَّابَّة ووظائفها.

(٦) تقدم تخريجه في أثناء المبحث الثاني ، ص (١٧ – ١٨).

فَتَخْطِمُ الكافر بالخاتم، وَتَجْلُو وجه المؤمن بالعصا، حتى إنَّ أهل الْخِوَانِ لَيَجْتَمِعُونَ على خِوَانِهِمْ، فيقول هذا: يا مؤمن، ويقول هذا: يا كافر"[1].

وقد اختلف العلماء - رحمهم الله - القائلون بوسم الدَّابَّة للناس في كيفية الوسم ومكانه إلى أقوال عدة، وذلك بعد اتفاقهم على أنَّ الدَّابَّة ستميز بين مؤمن الناس وكافرهم بما تقوم به من وسم كما ورد في النصوص، ومرد أقوالهم ومآلها واحد، حيث إنَّ جميع أقوالهم مفادها أنَّ الدَّابَّة ستبرز أهل الإيمان من أهل الكفر والنفاق، وإليك أخي القارىء الكريم بعضاً من تلك الأقوال:

القول الأول: إنَّ الدَّابَّة ستجلو وجه المؤمن حتى يشرق، علامة على إيمانه، وتخطم الكافر على أنفه علامة على كفره، وهو مروي عن حذيفة بن أسيد، وقد حكاه عنه عبد الرزاق والطبري[2]، والقول مأخوذ من بعض طرق حديث حذيفة في خرجات الدَّابَّة، وحديث أبي هريرة في خروج الدَّابَّة بعصى موسى وخاتم سليمان، والحديثان متكلم في صحتهما كما تقدم[3].

القول الثاني: ستسم الدَّابَّة المؤمن في وجهه بالبياض، وتسم الكافر بالسواد في وجهه، وهو مروي عن أبي الزبير[4]، وقد حكى هذا القول أيضاً كل من الماوردي والعز بن عبد السلام عن بعضهم[5].

القول الثالث: تسم الدَّابَّة المؤمن بكتابتها على وجهه كلمة "مؤمن"، وتسم

---

(١) تقدم تخريجه في أثناء المبحث الثاني ، ص (١٨).

(٢) انظر: تفسير عبد الرزاق (٣/ ٨٤)، وتفسير الطبري (٢٠/ ١٤ - ١٥).

(٣) تقدم تخريجهما في أثناء المبحثين الثاني والثالث، ، ص (١٨ - ٢٣).

(٤) انظر: بحر العلوم للسمرقندي (٢/ ٥٠٥).

(٥) انظر: النكت والعيون للماوردي (٤/ ٢٢٧)، وتفسير العز بن عبد السلام (٢/ ٤٧٥).

الكافر بكتابتها على وجهه كلمة "كافر"، وقد حكى هذا القول ابن كثير عن بعضهم[1].

القول الرابع: تسم المؤمن فينير وجهه، وتكتب بين عينيه "مؤمن"، وتسم الكافر، فيسود وجهه، وتكتب بين عينيه "كافر"، وقد حكى هذا القول السخاوي والقنوجي عن بعض المفسرين، وهو مقارب لما ذكره السفاريني عن بعضهم[2].

القول الخامس: إنَّ الدَّابَّة ستسم بعصى موسى وجه المؤمن فيبيض، وستختم بخاتم سليمان بين عيني الكافر، وهو مروي عن عبد الله بن عمرو[3].

القول السادس: وسم الدَّابَّة وتجريحها يكون للكافر والمنافق فقط، بحيث يُفَرق بوسمه بين المؤمن والكافر، وجرحهما يكون معنوياً، وهو بإظهار كفرهما ونفاقهما؛ كجرح الشهود بالتفسيق، وهذا القول حكاه كل من الماوردي والعز بن عبد السلام[4]، وذكر الماوردي أنه أشبه أنْ يكون قول ابن عباس.

وهو في ذلك؛ أعني الماوردي يشير لما ذكره أبو الجوزاء من أنه سأل ابن عباس -رضي الله عنهما- عن قوله تعالى: ﴿تُكَلِّمُهُمْ﴾ هل هي: ﴿تُكَلِّمُهُمْ﴾ أو: ﴿تَكْلِمُهُمْ﴾؟ فقال ابن عباس: "هي والله ﴿تُكَلِّمُهُمْ﴾ و﴿تَكْلِمُهُمْ﴾ تُكلِّم المؤمن، وتَكْلِم الكافر والفاجر؛ أي تجرحه"[5]، لكن ما يفهم من كلام الماوردي من أنَّ هذا القول أشبه بقول ابن عباس فيه نظر؛ فقول ابن عباس من الممكن أنْ يفهم منه أنَّ

---

(١) انظر: النهاية في الفتن والملاحم (١/ ٢٠٨).

(٢) انظر: القناعة فيما يحسن الإحاطة من أشراط الساعة للسخاوي (ص ٧٠)، ولوامع الأنوار للسفاريني (٢/ ١٤٨)، والإذاعة لما كان وما يكون بين يدي الساعة للقنوجي (ص١٢١).

(٣) انظر: تفسير الطبري (٢٠/ ١٦).

(٤) انظر: النكت والعيون للماوردي (٤/ ٢٢٧)، وتفسير العز بن عبد السلام (٢/ ٤٧٥).

(٥) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (٩/ ٢٩٢٦)، ومعالم التنزيل للبغوي (٣/ ٤٣٠)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٣/ ١٥٨)، والدر المنثور للسيوطي (١١/ ٤٠١).

التجريح هو خاص بالكافر والمنافق؛ لكن لا يفهم منه أنَّ التجريح معنوي؛ كتجريح الشهود للفاسق بالفسق؛ لأنَّ الأصل هو حمل كلام ابن عباس على الحقيقة وظاهره المراد لا حمله على المجاز، فظاهر كلامه: أنَّ الدَّابَّة تُكلِّم بمعنى التحديث كما ثبت في الآية، وتَكْلِم بمعنى تجرح وتسم كما ثبت في الحديث.

القول السابع: وسم الدَّابَّة وتجريحها يكون للكافر والمنافق فقط، بحيث يفرق بوسمه بين المؤمن والكافر، ويفهم هذا بما ذُكر عن ابن عباس حينما سئل عن قوله تعالى: ﴿تُكَلِّمُهُمْ﴾.

القول الثامن: تنكت الدَّابَّة في وجه الكافر نكتة[1] سوداء فتفشو في وجهه، حتى يسود وجهه، وتنكت في وجه المؤمن نكتة بيضاء، فتفشو في وجهه، حتى يبيض وجهه، فيعرف المؤمن من الكافر، وهذا القول مروي عن عبد الله بن عمر[2]، كما روي عن عبد الله بن عمرو[3]، وعبد الله بن عباس[4] رضي الله عنهم أجمعين.

القول التاسع: تنكت بعصا موسى في مسجد المؤمن نكتة بيضاء، فيبيض وجهه، وبخاتم سليمان في أنف الكافر نكتة سوداء فيسود وجهه، وهو مروي عن أبي الزبير[5]، وقال بهذا القول البيضاوي، وذكره السفاريني عن بعضهم[6].

---

(١) النكتة: هي الأثر القليل كالنقطة، شِبه الوسخ في المرآة والسيف ونحوهما.
انظر: النهاية في غريب الحديث (٥/ ١١٤).

(٢) انظر: تفسير الطبري (٢٠/ ١٥ – ١٦)، وبحر العلوم للسمرقندي (٢/ ٥٠٥).

(٣) انظر: تفسير عبد الرزاق (٣/ ٨٤)، والفتن لنعيم بن حماد (٢/ ٦٦٥)، والسنن الواردة في الفتن لأبي عمرو الداني (٦/ ١٢٥٤)، وزاد المسير لابن الجوزي (٦/ ١٩٢-١٩٣)، والدر المنثور للسيوطي (١١/ ٤٠٢، ٤٠٦).

(٤) انظر: الدر المنثور للسيوطي (١١/ ٤٠٦).

(٥) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (٩/ ٢٩٢٤)، والنكت والعيون للماوردي (٤/ ٢٢٦)، ومعالم التنزيل للبغوي (٣/ ٤٢٩)، والدر المنثور للسيوطي (١١/ ٤١١).

(٦) انظر: تفسير البيضاوي (٤/ ٢٧٨)، ولوامع الأنوار للسفاريني (٢/ ١٤٨).

القول العاشر: تسم المؤمن في وجهه وكتفه؛ فيبيض وجهه، وتسم الكافر في وجهه وكتفه؛ فيسود وجهه، وهو مروي عن عبد الله بن عمر[1].

القول الحادي عشر: تكتب بين عيني الرجل الكافر الذي يفزع للصلاة عند خروجها كلمة "كذاب"، قاله صدقة بن يزيد[2].

القول الثاني عشر: تسم وجوه الفريقين؛ المؤمنين والكافرين بالنفخ، فتنقش في وجه المؤمن "مؤمن"، وتنقش في وجه الكافر "كافر"، وهذا القول ذكره القرطبي عن بعضهم[3].

هذه بعض أقوال علماء الإسلام في الوسم ومعناه، وهي أقوال متشابهة متداخلة أحياناً، وهي كما تقدم مصبها ومفادها واحد، وهو إبراز مؤمن الناس من كافرهم.

وبعد: الذي سبق ذكره من ظهور الدَّابَّة وخروجها من الأرض ومشاهدة الناس لها، وتكليمها لهم، ومن ثم وسمها لهم فيبينُ ويبْرزُ مؤمنهم من كافرهم هو ما جاءت وثبتت به النصوص في كتاب الله تبارك وتعالى وسنة المصطفى ﷺ، وقبل أنْ أختم هذا المبحث لا يفوتني أنْ أذكر أنَّ بعض أهل العلم ذكر للدابة أعمالاً لم يثبت بها حديث صحيح بل هي واردة في أحاديث ضعيفة متكلم في صحتها.

ومن ذلك: ما ذكره الحافظ ابن كثير - رحمه الله - في النهاية في الفتن والملاحم، والإمام السفاريني - رحمه الله - في لوامع الأنوار، والعلامة البرزنجي - رحمه الله - في الإشاعة: من أنَّ الدَّابَّة هي قاتلة إبليس يوم القيامة، وذلك في معرض

(١) انظر: أخبار مكة للفاكهي (٤/ ٣٩).

(٢) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (٩/ ٢٩٢٦)، والدر المنثور للسيوطي (١١/ ٤٠٣).

(٣) انظر: التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة للقرطبي (٣/ ١٣٣٣).

ذكرهم لحديث عزاه ابن كثير تحت عنوان "خبر عجيب، ونبأ غريب" لنعيم بن حماد في الفتن من رواية الطبراني، وعزاه السفاريني والبرزنجي لنعيم في الفتن والحاكم في المستدرك عن ابن مسعود ﷺ عن النبي ﷺ، وفي آخره: "فلا يزال إبليس ساجداً باكياً حتى تخرج دابَّة الأرض فتقتله"[(١)].

كما ذكر الحافظ ابن كثير في التفسير والنهاية، والسخاوي في القناعة، والبرزنجي في الإشاعة حديثاً عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن النبي ﷺ عند الطبراني، وفيه: لطم الدَّابَّة وخطمها لإبليس عند قيام الساعة، وقد ذكر

---

(١) انظر: النهاية في الفتن والملاحم (١/ ١٧٨-١٨٠، ٢١٩)، ولوامع الأنوار (٢/ ١٤٣، ١٤٨)، والإشاعة لأشراط الساعة (ص ٢٩٣، ٢٩٩)، والحديث المذكور أخرجه نعيم بن حماد في الفتن (٢/ ٦٥٤ - ٦٥٥)، وفي إسناده الحارث الأعور، وهو ضعيف متكلم فيه، وقد ذكر الحافظ ابن حجر في التهذيب (٢/ ١٢٦) عن أبي زرعة أنه قال فيه: "لا يحتج بحديثه"، وعن أبي حاتم: "ليس بقوي، ولا ممن يحتج بحديثه". وقال عنه في التقريب (ص ١٤٦): "كذبه الشعبي في رأيه، ورمي بالرفض، وفي حديثه ضعف"، والحديث الذي أخرجه الحاكم في المستدرك (٤/ ٥٢١ - ٥٢٢) مختلف السياق تماماً عن الحديث الذي عزاه له السفاريني والبرزنجي، ولعلهما اختلط عليهما هذا الحديث بحديث آخر أخرجه نعيم في (٢/ ٦٦٣ - ٦٦٤) من الفتن؛ فيه قتل الدَّابَّة لإبليس وهو بنفس السياق الموجود في مستدرك الحاكم، ولعل سبب الخلط أنَّ الإسناد في الحديثين واحد، وقد ذكر الحاكم علة أخرى في إسناد الحديث غير علة الحارث الأعور وهي جهالة عبد الوهاب بن الحسين، ونص قوله: "أخرجته تعجباً، وعبدالوهاب مجهول"، وقال الذهبي في التلخيص معلقاً على قول الحاكم: "ذا موضوع والسلام"، ولا يفوتني أنْ أنبه إلى أنَّ ابن كثير في النهاية ذكر الحديث مطولاً عن نعيم من طريق الطبراني، والذي في الفتن حسب ما وقفت عليه مفرقاً في مواطن كثيرة، وما يتعلق بقتل الدَّابَّة لابليس ذكر في (٢/ ٦٥٤ - ٦٥٥)، وجزء ليس بالقصير من الحديث ذكره نعيم في (٢/ ٥٤٣ - ٥٤٦) والإسناد في المقطعين واحد.

ابن كثير أنَّ الحديث ضعيف، ورفعه للنبي ﷺ منكر[1].

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٢/ ٢٠٢-٢٠٣)، والنهاية في الفتن والملاحم (١/ ٢١٨ – ٢١٩)، والقناعة فيما يحسن الإحاطة من أشراط الساعة (ص ٧٢)، والإشاعة لأشراط الساعة (ص ٢٩٩)، والحديث رواه الطبراني في الأوسط (١/ ٣٦)، وهو ضعيف الإسناد، قال ابن كثير في التفسير: "هذا حديث غريب جدًا وسنده ضعيف، ولعله من الزاملتين اللتين أصابهما عبد الله بن عمرو يوم اليرموك، فأما رفعه فمنكر، والله أعلم". والحديث ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ٨)، وقال عنه بعد أنْ عزاه للطبراني: "وفيه إسحاق بن إبراهيم بن زبريق، وهو ضعيف"، كما ذكره السيوطي في الدر المنثور (٦/ ٢٨٨ - ٢٨٩) وعزاه للطبراني وابن مردويه.

المبحث السادس

وقت خروج الدَّابَّة

جاء ذكر وقت خروج الدَّابَّة في حديث عبد الله بن عمرو -رضي الله عنهما- الذي قال فيه: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "إنَّ أَوَّلَ الآيات خروجاً طلوع الشمس من مغربها، وخروج الدَّابَّة على الناس ضحىً، وأيهما ما كانت قبل صاحبتها فالأخرى على إِثْرِهَا قريباً"(١).

فظاهر حديث عبد الله بن عمرو هذا أفاد عدة أمور:

أولها: أنَّ أول الآيات خروجاً هو: إما طلوع الشمس من مغربها، أو خروج الدَّابَّة على الناس ضحىً.

ثانيها: أنَّ طلوع الشمس من مغربها وخروج الدَّابَّة متقاربان في الظهور.

ثالثها: أنَّ هاتين الآيتين تسبقان بقية الآيات؛ كظهور الدَّجال، ونزول عيسى، وخروج يأجوج ومأجوج، وذلك كما هو في ظاهر الحديث.

لكننا نجد ما يُشكل على ما ورد في الإفادتين الأولى والثالثة، فقد ورد في بعض الأحاديث أنه عند طلوع الشمس من مغربها لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل، أو كسبت في إيمانها خيراً، وذلك كما روى أبو هريرة ﷺ عن النبي الله ﷺ أنه قال: "لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت ورآها الناس آمن الناس أجمعون، فذلك حيث لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً"(٢)، وقد ورد في بعض الأحاديث أيضاً أنَّ أول أشراط الساعة آيات أُخر

---

(١) تقدم تخريجه في أثناء المبحث الثاني ، ص (١٧).

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب لا ينفع نفساً إيمانها (٤/ ١٦٩٧، رقم٤٣٦٠)، وكتاب الرقاق، باب طلوع الشمس من مغربها (٥/ ٢٣٨٦، رقم٦١٤١)، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان (١/ ١٢٤، رقم ١٥٧).

غير طلوع الشمس من مغربها، ومن ذلك ما ورد في حديث أنس بن مالك ﷺ المتعلق بمسائل عبد الله بن سلام ﷺ للنبي ﷺ حينما أسلم، ومنها سؤاله النبي ﷺ عن أول أشراط الساعة ؟ ورد النبي ﷺ بقوله: "أمَّا أول أشراط الساعة فنار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب"[1].

وموطن الإشكال كما يذكره الأئمة: الحليمي والبيهقي وابن حجر والسفاريني[2] يكمن في أنه لو كان طلوع الشمس من مغربها أول الآيات على الإطلاق، قبل خروج الدَّجال، ونزول المسيح ابن مريم، فإنَّ هذا يعني أنَّ الكفار الذين يؤمنون في زمن نزول عيسى لا يقبل منهم إيمان؛ لأنَّ باب التوبة أغلق بخروج الشمس من مغربها كما ثبت به الخبر، وهذا يعارض - بالإضافة لما ورد في أولوية بعض الآيات غير طلوع الشمس من مغربها - ما ورد في الحديثَ من أنَّ عيسى ﷺ يكسر الصليب، ويضع الجزية، ويدعو الناس للإسلام، ويقتل الدَّجال، ويصير الدين واحداً، فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "والذي نفسي بيده ليوشكن أنْ ينزل فيكم ابن مريم حكماً عدلاً، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيض المال؛ حتى لا يقبله أحد، حتى تكون السجدة الواحدة خيراً من الدنيا وما فيها". ثم يقول أبو هريرة: واقرءوا إنْ شئتم: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾[3]، وعن أبي هريرة ﷺ أنَّ النبي ﷺ قال: "الأنبياء إخوة لعلات؛

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء، باب خلق آدم وذريته (٣/ ١٢١١، رقم٣١٥١)، وكتاب التفسير، باب قوله: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ﴾ [سورة البقرة، الآية٩٧] (٤/ ١٦٢٨، رقم ٤٢١٠).

(٢) انظر: فتح الباري لابن حجر (١١/ ٣٥٣ – ٣٥٤)، وفيض القدير للمناوي (٣/ ٨١)، ولوامع الأنوار للسفاريني (٢/ ١٤١–١٤٢)، وعون المعبود للعظيم أبادي (١١/ ٢٨٦)، والإذاعة لما كان وما يكون بين يدي الساعة للقنوجي (ص ١١٩).

(٣) سورة النساء، الآية ١٥٩، والحديث أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء، باب نزول عيسى ابن مريم عليهما السلام (٣/ ١٢٧٢، رقم ٣٢٦٤)، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب نزول عيسى ابن مريم حاكماً بشريعة محمد ﷺ (١/ ١٢٢ – ١٢٣، رقم ١٥٥).

أمهاتهم شتى ودينهم واحد، وإني أولى الناس بعيسى ابن مريم؛ لأنه لم يكن بيني وبينه نبي، وإنه نازل، فإذا رأيتموه فاعرفوه: رجل مربوع إلى الحمرة والبياض، عليه ثوبان ممصران، كأنَّ رأسه يقطر، وإنْ لم يصبه بلل، فيدق الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويدعو الناس إلى الإسلام، ويهلك الله في زمانه الملل كلها إلا الإسلام، ويهلك الله في زمانه المسيح الدَّجال، ثم تقع الأمنة على الأرض، حتى ترتع الأسود مع الإبل، والنمار مع البقر، والذئاب مع الغنم، ويلعب الصبيان بالحيات لا تضرهم، فيمكث أربعين سنة، ثم يتوفى، ويصلي عليه المسلمون"[1].

والإشكال الوارد حول ما ورد في حديث عبد الله بن عمرو من أولوية، والأحاديث الواردة في ترتيب أشراط الساعة وأيها أولاً ؟ والأحاديث الواردة في إغلاق باب التوبة بعد طلوع الشمس من مغربها؛ أوقع العلماء في خلاف في طريقة التعامل مع هذا الإشكال وتوجيهه، وقبل ذكر أوجه التعامل وطرق التوجيه أود أنْ أشير إلى أنَّ الخلاف في هذه المسألة قد وقع منذ عصر الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، فعبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - ذكر قول النبي ﷺ السابق نتيجة لخلاف سمعه في المسألة، فقد روى الإمام مسلم في صحيحه أنَّ أبا زرعة قال: جلس إلى مروان بن الحكم بالمدينة ثلاثة نفر من المسلمين، فسمعوه وهو يحدث عن الآيات: أنَّ أولها خروجاً الدَّجال، فقال عبد الله بن عمرو: لم يقل مروان شيئاً، قد حفظت من رسول الله ﷺ حديثاً لم أنسه بعد، سمعت رسول الله ﷺ يقول: " إنَّ أَوَّلَ الآيات خروجاً طلوع الشمس من مغربها، وخروج الدَّابَّة على الناس ضحىً، وأيهما ما

(١) رواه أحمد في المسند (٢/ ٤٠٦)، وأبو داود في السنن، كتاب الملاحم، باب خروج الدَّجال (٤/ ٤٩٨ - ٤٩٩، رقم ٤٣٢٤)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٥٩٥)، وقال: "هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه"، ووافقه الذهبي، وقال ابن كثير عن إسناده في النهاية في الفتن والملاحم (١/ ١٨٨): "وهذا إسناد جيد قوي"، وقال الحافظ ابن حجر في الفتح (٦/ ٤٩٣): "إسناد صحيح"، وقال الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة (٢/ ٢١٤): "وهذا إسناد صحيح".

كانت قبل صاحبتها فالأخرى على إِثْرِهَا قريباً"[1].

وبعد معرفة قِدم الخلاف في المسألة أقول: إنَّ العلماء رحمهم الله اختلفوا في طريقة التعامل بين حديث عبد الله بن عمرو السابق وبقية الأحاديث الواردة في المسألة إلى طرق عدة، هي كالآتي:

الطريقة الأولى: طريقة من فرق بين أحوال الأرض وأحوال السماء، وهي التي سار عليها ورجحها الحافظ ابن حجر - رحمه الله - حيث قال: "فالذي يترجح من مجموع الأخبار: أنَّ خروج الدَّجال أول الآيات العظام المؤذنة بتغير الأحوال العامة في معظم الأرض وينتهي ذلك بموت عيسى ابن مريم، وأنَّ طلوع الشمس من المغرب هو أول الآيات العظام المؤذنة بتغير أحوال العالم العلوي وينتهي ذلك بقيام الساعة، ولعل خروج الدَّابَّة يقع في ذلك اليوم الذي تطلع فيه الشمس من المغرب... وأول الآيات المؤذنة بقيام الساعة النار التي تحشر الناس"[2].

قال الشيخ مرعي بن يوسف الحنبلي عن هذا الجمع: "وهذا كلام في غاية التحقيق"[3].

وقال العلامة البرزنجي عن جمع الحافظ: "وهذا جمع حسن، رحمه الله تعالى"[4].

الطريقة الثانية: طريقة من فرق بين الآيات المألوفة والآيات غير المألوفة، وهي التي سار عليها الحافظ ابن كثير، والعلامة ابن أبي العز؛ شارح الطحاوية، والحافظ السخاوي، وغيرهم من أهل العلم.

---

(١) تقدم تخريجه في أثناء المبحث الثاني ، ص (١٧).

(٢) فتح الباري (١١/ ٣٥٣).

(٣) انظر: لوامع الأنوار للسفاريني (٢/ ١٤٢)، والإذاعة لما كان وما يكون بين يدي الساعة للقنوجي (ص ١١٨).

(٤) الإشاعة لأشراط الساعة (ص ٢٩٤).

قال ابن كثير - رحمه الله - بعد ذكره لحديث عبد الله بن عمرو السابق: "أي: أول الآيات التي ليست مألوفة، وإنْ كان الدَّجال ونزول عيسى عليه السلام من السماء قبل ذلك، وكذلك خروج يأجوج ومأجوج، فكل ذلك أمور مألوفة؛ لأنَّ أمر مشاهدته ومشاهدة أمثاله مألوف، فأمَّا خروج الدَّابَّة على شكل غريب غير مألوف، ومخاطبتها الناس، ووسمها إياهم بالإيمان أو الكفر، فأمر خارج عن مجاري العادات، وذلك أول الآيات الأرضية، كما أنَّ طلوع الشمس من مغربها على خلاف عادتها المألوفة أول الآيات السماوية"[1].

وقال ابن أبي العز الحنفي - رحمه الله - بعد ذكره لحديث ابن عمرو السابق كلاماً يشبه إلى حد كبير ما قاله الحافظ ابن كثير: "أي أول الآيات التي ليست مألوفة، وإنْ كان الدَّجال، ونزول عيسى عليه السلام من السماء قبل ذلك، وكذلك خروج يأجوج ومأجوج، كل ذلك أمور مألوفة؛ لأنهم بشر، مشاهدة مثلهم مألوفة، أمَّا خروج الدَّابَّة على شكل غريب غير مألوف، ثم مخاطبتها الناس، ووسمها إياهم بالإيمان أو الكفر، فأمر خارج عن مجاري العادات. وذلك أول الآيات الأرضية، كما أنَّ طلوع الشمس من مغربها على خلاف عادتها المألوفة أول الآيات السماوية"[2].

وقال السخاوي رحمه الله: "وبالجملة، فالوارد في كون أول الآيات خروجاً طلوع الشمس من مغربها وخروج الدَّابَّة مع صحته لا ينافي الوارد في كون أولها الدَّجال ونزول عيسى وخروج يأجوج ومأجوج لحمله فيها على الأمور المألوفة؛ لأنه شيء مشاهد بخلافه فيهما فليس بمألوف بل هو مخالف للعادات المستقرة؛ أي: خروج الدَّابَّة على شكل غريب غير مألوف، ومخاطبتها الناس، ووسمها إياهم بالإيمان والكفر أمر خارج عن مجاري العادات، وذلك أول الآيات الأرضية، كما أنَّ طلوع

(١) النهاية في الفتن والملاحم (١/ ٢١٤).

(٢) شرح العقيدة الطحاوية (٢/ ٧٥٨).

الشمس من مغربها على خلاف عادتها المألوفة أول الآيات السماوية، فهما أول بهذا التأويل، وآخر على الإطلاق"[1].

وهذه الطريقة لا تسلم من إشكال، فالدَّجال مثلاً من الممكن أنْ يقال من ناحية بشريته مألوف، مع أنه عظيم الخلقة كما في حديث الجسَّاسة[2]؛ لكن من ناحية أنه بشر ويأتي ببعض الآيات والعجائب؛ كإحياء الموتى، وإنزال المطر من السماء بعد أنْ يأمرها، وإنبات الأرض بالنبات بعد أمرها أيضاً، وأنَّ معه جنة وناراً[3]؛ فهذه أمور غير مألوفة[4]، وكذا قل مثل ذلك في نزول عيسى من السماء، فنزول بشر من السماء على الطريقة الواردة في حق عيسى غير مألوف، وقل مثل ذلك أيضاً في يأجوج ومأجوج، فظهورهم وما يقومون به من أعمال بالصورة الواردة في الأحاديث غير مألوف للناس، فالعبرة والآية إذاً ليست في كونهم بشراً، والبشر مألوفون، فالعبرة تكون بالإضافة لبشريتهم بما يأتون به من آيات وأعاجيب، والله تعالى أعلم.

الطريقة الثالثة: طريقة من قسمها إلى العلامات المؤذنة بالقرب، والعلامات المؤذنة بالحصول، وهي التي سار عليها شرف الدين محمد بن الحسن الطيبي والحافظ المناوي وغيرهم من أهل العلم.

قال الطيبي رحمه الله: "الآيات أمارات للساعة إمَّا على قربها وإمَّا على حصولها؛ فمن الأول: الدَّجال، ونزول عيسى، ويأجوج ومأجوج، والخسف، ومن

---

(١) القناعة فيما يحسن الإحاطة من أشراط الساعة للسخاوي (ص ٧٣).

(٢) انظر: القول الثاني من المبحث الثالث.

(٣) انظر أعمال الدَّجال هذه وغيرها: صحيح البخاري، كتاب الفتن، باب ذكر الدَّجال، وباب لا يدخل الدَّجال المدينة (٦/ ٢٦٠٦ – ٢٦٠٩)، وصحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدَّجال وصفته وما معه، وباب في صفة الدَّجال، وتحريم المدينة عليه، وقتله المؤمن وإحيائه، وباب في خروج الدَّجال ومكثه في الأرض (٤/ ١٧٨٠–١٧٨٨).

(٤) انظر: أشراط الساعة ليوسف الوابل (ص ١٨٦).

الثاني: الدخان، وطلوع الشمس من مغربها، وخروج الدَّابَّة، والنار التي تحشر الناس"[1].

وقال المناوي وقد جعل القسمة ثلاثية: "أنَّ بعض علاماتها علامات لقربها، وبعضها علامة غاية قربها، وبعضها علامة وقوعها، ومن الأول: البعثة، ومن الثاني: النار، والدخان، والدَّجال، ويأجوج ومأجوج، والثالث: طلوع الشمس، وخروج الدَّابَّة "[2].

وهذه الطريقة حسنها بعض العلماء والباحثين، كالعلامة السفاريني[3]، والدكتور / يوسف الوابل، والذي قال عنها، وبالتحديد عن قول الطيبي فيها: " فإنَّ هذا التقسيم الذي ذهب إليه تقسيم حسن ودقيق "[4].

الطريقة الرابعة: طريقة من حاول أنْ يجمع بين النصوص عن طريق الاحتمال، كما فعل الإمام البيهقي في أثناء تعليقه على كلام للحليمي في المسألة، وذلك كما نقله الحافظ ابن حجر في الفتح، حيث قال الحافظ: " ذكر الحليمي: أنَّ أول الآيات الدَّجال، ثم نزول عيسى؛ لأنَّ طلوع الشمس من المغرب لو كان قبل نزول عيسى لم ينفع الكفار إيمانهم في زمانه، ولكنه ينفعهم إذ لو لم ينفعهم لما صار الدين واحداً بإسلام من أسلم منهم، قال البيهقي: وهو كلام صحيح لو لم يعارض الحديث الصحيح المذكور: " أنَّ أول الآيات طلوع الشمس من المغرب"[5]... قال البيهقي: إنْ كان في علم الله أنَّ طلوع الشمس سابق احتمل أنْ يكون المراد نفي النفع عن أنفس

---

(١) انظر: فتح الباري لابن حجر (١١/ ٣٥٢ - ٣٥٣).

(٢) فيض القدير (٢/ ١٧٠).

(٣) انظر: لوامع الأنوار (٢/ ١٤٠).

(٤) أشراط الساعة (ص ١٨٧).

(٥) تقدم تخريجه في أثناء المبحث الثاني.

القرن الذين شاهدوا ذلك، فإذا انقرضوا وتطاول الزمان وعاد بعضهم إلى الكفر عاد تكليفه الإيمان بالغيب، وكذا في قصة الدَّجال لا ينفع إيمان من آمن بعيسى عند مشاهدة الدَّجال، وينفعه بعد انقراضه، وإنْ كان في علم الله طلوع الشمس بعد نزول عيسى احتمل أنْ يكون المراد بالآيات في حديث عبد الله بن عمرو آيات أخرى غير الدَّجال ونزول عيسى إذ ليس في الخبر نص على أنه يتقدم عيسى، قلت: وهذا الثاني هو المعتمد"[1].

والذي اعتمده الحافظ ابن حجر في قوله "قلت: وهذا الثاني هو المعتمد"، اعتمده أيضاً العلامة مرعي بن يوسف الحنبلي كما حكاه عنه السفاريني[2]، والقول الذي اعتمداه هو الاحتمال الثاني الذي ذكره البيهقي في قوله السابق، ومفاده: أنَّ طلوع الشمس من مغربها يكون بعد خروج الدَّجال ونزول عيسى، وأنَّ خروج الدَّجال ونزول عيسى ليس له علاقة بحديث ابن عمرو، وعلى ذلك يدخل الاحتمال الثاني في طرق الجمع الثلاثة السابقة.

وأمَّا ما جاء في الاحتمال الأول من قول الإمام البيهقي إنَّ التوبة لا تقبل إلا ممن عاين وشاهد طلوع الشمس من مغربها فقط، ومن أتى بعد ذلك بزمن فإنه يقبل منه الإيمان إنْ هو تاب، هو احتمال مرجوح مخالف للنصوص الكثيرة من كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ.

قال تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن تَأْتِيهُمُ الْمَلآئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لاَ يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انتَظِرُواْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾[3].

---

(١) فتح الباري (١١/ ٣٥٤)، وانظر أيضاً: لوامع الأنوار للسفاريني (٢/ ١٤١ – ١٤٢).

(٢) انظر: لوامع الأنوار (٢/ ١٤١).

(٣) سورة الأنعام، الآية ١٥٨.

وعن أبي موسى الأشعري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "إنَّ الله عز وجل يبسط يده بالليل؛ ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار؛ ليتوب مسيء الليل، حتى تطلع الشمس من مغربها"(١).

مع أنَّ هذا القول - أعني ما جاء في الاحتمال الثاني - قال به أئمة أعلام؛ كالإمام القرطبي - رحمه الله - ونص قوله: "وعلى هذا ينبغي أنْ تكون توبة كل من شاهد ذلك، أو كان كالمشاهد له مردودة ما عاش؛ لأنَّ علمه بالله تعالى، وبنبيه ﷺ، وبوعده قد صار ضرورة، فإنْ امتدت أيام الدنيا إلى أنْ ينسى الناس من هذا الأمر العظيم ما كان، ولا يتحدثوا عنه إلا قليلاً، فيصير الخبر عنه خاصاً، وينقطع التواتر عنه، فمن أسلم في ذلك الوقت، أو تاب، قُبل منه، والله أعلم"(٢).

ولقد تعقب الحافظ ابن حجر - رحمه الله - هذا الاحتمال من خلال سرده لنصوص وآثار كثيرة دلت على أنَّ التوبة لا تقبل بعد طلوع الشمس من مغربها، وأنَّ بابها مغلق، وأنَّ النصوص عامة لم تفرق بين من عاين وشاهد هذه الآية العظيمة، وبين من لم يشاهدها.

قال - رحمه الله - في نهاية سرده للنصوص: "فهذه آثار يشدُّ بعضها بعضاً، متفقة على أنَّ الشمس إذا طلعت من المغرب أغلق باب التوبة، ولم يفتح بعد ذلك، وأنَّ ذلك لا يختص بيوم الطلوع بل يمتد إلى يوم القيامة، ويؤخذ منها: أنَّ طلوع الشمس من مغربها أول الإنذار بقيام الساعة"(٣).

وقال القاضي عياض - رحمه الله - وهو يقرر أنَّ التوبة لا تنفع بعد طلوع الشمس من مغربها: "المعنى لا تنفع توبة بعد ذلك، بل يختم على عمل كل أحد

---

(١) رواه مسلم في صحيحه، كتاب التوبة، باب قبول التوبة من الذنوب وإن تكررت الذنوب والتوبة (٤/ ١٦٧٨ - ١٦٧٩، رقم ٢٧٥٩).

(٢) التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة (٣/ ١٣٤٦).

(٣) فتح الباري (١١/ ٣٥٥).

بالحالة التي هو عليها، والحكمة في ذلك: أنَّ هذا أول ابتداء قيام الساعة بتغير العالم العلوي، فإذا شوهد ذلك حصل الإيمان الضروري بالمعاينة، وارتفع الإيمان بالغيب، فهو كالإيمان عند الغرغرة، وهو لا ينفع، فالمشاهدة لطلوع الشمس من المغرب مثله"[1].

وقال الحافظ ابن كثير – رحمه الله تعالى – في شرح قوله تعالى: ﴿لا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ﴾[2]: " أي: إذا أنشأ الكافر إيماناً يومئذ لا يقبل منه، فأمَّا من كان مؤمناً قبل ذلك، فإنْ كان مصلحاً في عمله فهو بخير عظيم، وإنْ كان مخلِّطاً فأحدث توبة حينئذلم تقبل منه توبته، كما دلت عليه الأحاديث المتقدمة، وعليه يحمل قوله تعالى: ﴿أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾ أي: ولا يقبل منها كَسْبُ عمل صالح إذا لم يكن عاملاً به قبل ذلك"[3].

وللعلامة السفاريني - رحمه الله - كلام في المسألة في غاية الحسن؛ ونصه: " فيتلخص من مجموع الأحاديث المذكورة وما في معناها...أنَّ الشمس إذا طلعت من مغربها لا ينفع الإيمان المحدث في ذلك اليوم لمن كان كافراً أو مشركاً، ولا التوبة المحدثة فيه لمن كان مخلطاً، ولا أعمال البر المحدثة فيه لمن لم يكن يعملها قبل ذلك اليوم...وإنما الممنوع قبول توبته عن تخليطه وقبول ما لم يكن متصفاً به من الإيمان وأعمال البر قبل ذلك اليوم. والضابط: أنَّ كل بر محدث يكون السبب في إحداثه رؤية الآية، ولم يسبق من صاحبه مثله لا ينفع، سواء كان من الأصول أو الفروع، وكل بر ليس كذلك لكون صاحبه كان عاملاً به قبل رؤية الآية ينفع، وهذا التحقيق نبه على مثله الإمام المحقق العلامة ابن مفلح في الآداب الكبرى"[4].

---

(١) انظر: فتح الباري لابن حجر (١١/ ٣٥٣ – ٣٥٤).

(٢) سورة الأنعام، الآية ١٥٨.

(٣) تفسير ابن كثير (٣/ ٣٧٦).

(٤) لوامع الأنوار (٢/ ١٣٦)، وكلام ابن مفلح هو في الآداب الشرعية (١/ ١١٦).

فخلاصة القول إذاً في الأولوية المذكورة في الأحاديث النبوية، وبناء على ما تقدم من طرق في توجيهها أنْ يقال: إنَّ الأولوية هي أولوية اعتبارية إضافية لا أولوية حقيقية، ولعل ما ذهب إليه الحافظ ابن حجر، ورجحه الشيخ مرعي بن يوسف، وحسنه الحافظ السخاوي أقرب التوجيهات والطرق التي جُمع فيها بين الأحاديث، وما ذكره ابن حجر عند التحقيق لا يبعد بعيداً عما ذكره الطيبي والمناوي من توجيه فثمرة الطريقتين من وجهة نظري واحدة، والله تعالى أعلم.

وعن الدَّابَّة التي هي موضوع بحثنا يظهر لي والله أعلم: أنَّ خروجها سيكون بإذن الله تعالى نهاراً في وقت الضحى بعد طلوع الشمس من مغربها بقليل، وقبلها – أي قبل خروج الدابة– وقبل طلوع الشمس سيكون خروج المهدي والدَّجال، ونزول المسيح عيسى ابن مريم، وخروج يأجوج ومأجوج، ووقوع الخسوفات الثلاثة.

قال عبد الله بن عمرو – رضي الله عنهما – كما ورد عنه عند غير مسلم في صحيحه بعد أنْ ذكر الحديث السابق في أولوية طلوع الشمس وخروج الدَّابَّة: " وأظن أولاها خروجاً طلوع الشمس من مغربها "[1].

قال الإمام أبو عبدالله الحاكم: " الذي يظهر أنَّ طلوع الشمس يسبق خروج الدَّابَّة، ثم تخرج الدَّابَّة في ذلك اليوم أو الذي يقرب منه "[2].

---

(١) إضافة عبد الله بن عمرو هذه رواها: أحمد في المسند (٢/ ٢٠١)، وأبو داود في السنن، كتاب الملاحم، باب أمارات الساعة (٤/ ٤٩٠-٤٩١، رقم ٤٣١٠)، وابن ماجه في السنن، كتاب الفتن، باب طلوع الشمس من مغربها (٢/ ١٣٥٣، رقم ٤٠٦٩)، والطبري في التفسير (٨/ ٩٨)، قال الشيخ الألباني في صحيح ابن ماجة (٢/ ٣٨٢) عن الحديث الذي فيه قول عبد الله بن عمرو هذا: " صحيح ".

(٢) انظر: فتح الباري لابن حجر (١١/ ٣٥٣).

وقال الحافظ ابن كثير: "وطلوع الشمس من مغربها، متقدم على الدَّابَّة، وذلك محتمل ومناسب، والله أعلم"(١).

وقال العلامة السفاريني: "وخروج الدَّابَّة عقب طلوع الشس من مغربها في يومها أو قريباً منها"(٢).

وقال العلامة ابن مفلح الحنبلي في معرض ذكره لمناسبة خروج الدَّابَّة بعد طلوع الشمس من مغربها: "المراد أنَّ الناس لما آمنوا عند طلوع الشمس من مغربها فقد يشتبه من تقدم إسلامه بمن تأخر؛ فخرجت الدَّابَّة فميزت وبينت هذا من هذا بأمر جلي واضح"(٣).

وقال الحافظ ابن حجر معلقاً على قول الحاكم السابق، ومبيناً مناسبة خروج الدَّابَّة بعد طلوع الشمس من مغربها: "قلت: والحكمة في ذلك: أنَّ عند طلوع الشمس من المغرب يغلق باب التوبة، فتخرج الدَّابَّة تميز المؤمن من الكافر تكميلاً للمقصود من إغلاق باب التوبة"(٤).

وقبل أنْ أختم هذا المبحث أود أنْ أشير إلى أنه روي عن النبي ﷺ أنَّ خروج الدَّابَّة سيكون في زمن عيسى عليه السلام أثناء طوافه بالبيت، ولكن الحديث المروي في ذلك متكلم في صحته كما تقدم، فعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه أنه سأل النبي ﷺ عن مكان خروج الدَّابَّة، فقال النبي ﷺ: "من أعظم المساجد حرمة على الله، بينما عيسى يطوف بالبيت ومعه المسلمون، إذ تضطرب الأرض تحتهم، تحرك القنديل، وينشق الصفا مما

---

(١) النهاية في الفتن والملاحم (٢/ ٢١٨).

(٢) لوامع الأنوار (٢/ ١٤٢).

(٣) الآداب الشرعية (١/ ١١٦).

(٤) فتح الباري (١١/ ٣٥٣).

يلي المسعى، وتخرج الدَّابَّة من الصفا، أول ما يبدو رأسها، ملمعة ذات وبر وريش، لم يدركها طالب، ولن يفوتها هارب، تسم الناس مؤمن وكافر، أما المؤمن فتترك وجهه كأنه كوكب دري، وتكتب بين عينيه مؤمن، وأما الكافر فتنكت بين عينيه نكتة سوداء كافر"[1].

(١) تقدم تخريجه وبيان ضعفه في أواخر المبحث الثالث، ص (٦١-٦٢).

المبحث السابع

مكان خروج الدَّابَّة

ذكر الله - تبارك وتعالى - في كتابه العزيز أنَّ خروج الدَّابَّة سيكون من الأرض لا من السماء؛ لكنه لم يحدد - عز في علاه - في الآية الكريمة التي دُكر فيها أمر الخروج من أي بقاع الأرض سيكون خروجها؟.

قال تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ﴾[1].

أمَّا السنة النبوية الشريفة فقد حُدد فيها موطن خروج الدَّابَّة في غير ما حديث؛ لكن لم يثبت منها حديث صحيح مرفوع للنبي ﷺ، كما لم يثبت عنه أنه ذكر أنَّ للدابة خرجات عدة، فالوارد سواء أكان في الكتاب أو السنة أنها تخرج من الأرض، دون تحديد لعدد خرجاتها، والذي يفهم من النصوص - والعلم عند الله - أنَّ لها خرجة واحدة لا خرجات عدة.

ولقد تقدم ذكر أقوال بعض علماء الإسلام؛ كأبي حيان والرازي والقرطبي وابن عثيمين في أنه لم يثبت عن النبي ﷺ في مكان خروج الدَّابَّة حديث مرفوع[2]، وأنَّ أكثر ما روي في تحديد موطن خروجها روايات موقوفة على بعض الصحابة الكرام متكلم في أسانيد كثير منها، أو روايات مذكورة عمن هو دونهم من التابعين وتابعيهم من علماء الأمة، ومفسري الكتاب العزيز.

والرويات المروية عنهم نجد فيها تعارضاً كبيراً، حاول بعضهم أنْ يجمع بين تلك الروايات والتعارضات، وذلك بحملها على تعدد الخرجات وتكرارها كما فعل

---

(١) سورة النمل، الآية ٨٢.

(٢) انظر ما تقدم ذكره في أثناء الحديث عن صفة الدَّابَّة في أواخر المبحث الثالث، ص (٦٠ – ٦٤).

السخاوي والقنوجي وغيرهما[1]، معتمدين في ذلك على حديث حذيفة بن أسيد المتكلم في صحته[2]، وقد توقف بعضهم ولم يذكر جمعاً أو تحديداً لموطن على حساب موطن؛ كما فعله الحافظ ابن كثير - رحمه الله - حيث أكتفى بسرد الأقوال، ومن ثم القول بأنَّ الأقوال في المسألة متعارضة[3]، وهو ما سار عليه الإمام الشوكاني - رحمه الله - أيضاً، فقد سرد الأقوال ولم يرجح أو يقطع بشيء منها[4]، وهو المناسب من وجهة نظري في أمثال هذه المسائل؛ التي لم يُقطع فيها بشيء من كتاب الله تبارك وتعالى، أو سنة نبيه ﷺ الصحيحة، والله تعالى أعلم.

وأمَّا عن أشهر ما جاء في المسألة وتكاد كثير من الأقوال تجتمع عليه، وجزم به غير واحد من العلماء والمفسرين هو: أنَّ خروجها سيكون من مكة المكرمة، وأنَّ ذلك يكون من المسجد الحرام من عند الصفا، أو من شعب أجياد[5].

والذين حاولوا أنْ يجمعوا بين الأقوال المتعارضة في المسألة، نجدهم قد ساروا في طريقة الجمع على طرق عدة، وأرى من وجهة نظري أنه لا داعي للجمع؛ فالأحاديث والروايات التي جُمع بينها لا تثبت، ومتكلم في صحتها، وكانت طرقهم كالتالي:

الطريقة الأولى: وهي الطريقة التي سلكها السخاوي ومن بعده القنوجي[6]،

---

(١) انظر: القناعة فيما يحسن الإحاطة من أشراط الساعة للسخاوي (ص ٦٩)، والإذاعة لما كان ويكون بين يدي الساعة للقنوجي (ص ١٢١).

(٢) تقدم تخريجه وبيان عدم ثبوته في أوائل المبحث الثالث ، ص (٢٤-٢٥).

(٣) انظر: النهاية في الفتن والملاحم (٢/ ٢١٢).

(٤) انظر: فتح القدير (٤/ ١٥١).

(٥) انظر: القناعة فيما يحسن الإحاطة من أشراط الساعة للسخاوي (ص ٦٩)، ولوامع الأنوار للسفاريني (٢/ ١٤٤)، والإذاعة لما كان ويكون بين يدي الساعة للقنوجي (ص١٢١).

(٦) انظر: القناعة فيما يحسن الإحاطة من أشراط الساعة للسخاوي (ص ٦٩)، والإذاعة لما كان ويكون بين يدي الساعة للقنوجي (ص ١٢١).

وهي القول بأنَّ للدَّابَّة ثلاث خرجات؛ أولها من أقصى البادية، ولا يدخل ذكرها مكة، وتظل على ذلك زمناً طويلاً، ومن ثَمَّ تظهر ثانية دون مكة، فيعلو ذكرها، ويدخل ذكرها مكة، ثم تخرج ثالثة من مكة، وأصحاب هذه الطريقة - كما تقدم - اعتمدوا في الأساس على حديث حذيفة بن أسيد المتكلم في صحته.

الطريقة الثانية: وهي الطريقة التي ذكرها البرزنجي والسفاريني عن بعضهم[1]، وهي القول بأنَّ للدَّابَّة ثلاث خرجات، وقبل ذكر الخرجات الثلاث أقول: إنَّ أصحاب هذا القول انطلقوا أيضاً من حديث حذيفة بن أسيد المتقدم ذكره، ومن بعض الأحاديث الأخرى التي سيأتي ذكرها ضمن الأقوال في المسألة بعد قليل، والخرجات الثلاث هي كالتالي، أولها: من سدوم[2]؛ مدينة قوم نبي الله لوط ﷺ، ويصدق القول بأنها خرجت من أقصى البادية، وثانيها: من بعض أودية تهامة[3]، ويصدق القول بأنها خرجت من البادية القريبة من مكة، وأنها خرجت من اليمن؛ لأنَّ الحجاز يمانية، وثالثها: من مكة، ولكبر حجمها يكون خروجها من الصفا والمروة والبادية المحيطة بمكة، فتجتمع بذلك الأقوال في المسألة.

الطريقة الثالثة: وهي الطريقة التي ذكرها البرزنجي عن بعضهم، والسفاريني عن الكوراني[4]، ويذكر بعض أصحاب هذ الطريقة أنَّ خروج الدَّابَّة سيكون في وقت

---

(١) الإشاعة لأشراط الساعة للبرزنجي (ص ٣٠٤)، ولوامع الأنوار للسفاريني (٢/ ١٤٥).

(٢) سدوم: مدينة من مدائن قوم نبي الله لوط ﷺ، إحدى مدن السهل الخمسة، وهي من المدن التي أهلكها الله سبحانه وتعالى لشذوذ وكفر أهلها، بأن جعل عاليها سافلها، وتقع الآن تحت الماء في جنوب البحر الميت.

انظر: معجم البلدان لياقوت الحموي (٣/ ٢٠٠-٢٠١)، وقاموس الكتاب المقدس (ص٤٦٠-٤٦١).

(٣) تهامة: منطقة كبيرة تمتد ما بين غرب الجزيرة العربية من جهة مكة حتى جنوبها، مختلف في تحديدها، وسميت بذلك من التهم، وهو شدة الحر، وركود الريح.

انظر: معجم البلدان لياقوت الحموي (٢/ ٦٣ - ٦٤).

(٤) انظر: الإشاعة لأشراط الساعة للبرزنجي (ص ٣٠٤)، ولوامع الأنوار للسفاريني (٢/ ١٤٥).

واحد من جميع الأماكن الواردة، وبعضهم يقول: في صور متباينة، وذكر الكوراني: أنَّ ما ورد من مرفوعات في عدد المخرجات لا مفهوم له[1].

ويشترك مع أصحاب هذه الطريقة وذلك من ناحية القول بخروج الدَّابَّة من أماكن متعددة قول من قال: إنَّ الدَّابَّة اسم جنس مبثوث نوعها في الأرض، لا دابَّة واحدة.

وأمَّا عن أهم ما وقفت عليه من أقوال لأهل العلم في المسألة؛ أعني مسألة مكان خروج الدَّابَّة، هي ما يلي:

القول الأول: أنَّ خروجها سيكون من مكة المكرمة من المسجد الحرام من جبل الصفا جهة المسعى، وهو مروي عن العبادلة: عبد الله بن عمر[2]، وعبد الله بن عمرو[3]، وعبد الله بن عباس[4]، وعبد الله بن مسعود[5].

وقد روي في هذا القول أحاديث عدة لا تثبت عن النبي ﷺ، منها: أنَّ حذيفة بن اليمان رضي الله عنه سأل النبي ﷺ عن مكان خروج الدَّابَّة، فقال النبي ﷺ: "من أعظم المساجد حرمة على الله، بينما عيسى يطوف بالبيت ومعه المسلمون، إذ تضطرب الأرض تحتهم، تحرك القنديل، وينشق الصفا مما يلي المسعى، وتخرج الدَّابَّة من الصفا..." الحديث[6].

---

(١) انظر: لوامع الأنوار للسفاريني (٢/ ١٤٥).

(٢) انظر: الفتن لنعيم بن حماد (٢/ ٦٦٧)، وأخبار مكة للفاكهي (٤/ ٤٢)، وتفسير ابن أبي حاتم (٩/ ٢٩٢٥)، وتفسير الطبري (٢٠/ ١٤)، ومعالم التنزيل للبغوي (٣/ ٤٣٠)، وزاد المسير لابن الجوزي (٦/ ١٩١)، والدر المنثور للسيوطي (١١/ ٤١٠).

(٣) انظر: الفتن لنعيم بن حماد (٢/ ٦٦٧)، وتفسير الطبري (٢٠/ ١٥)، والتذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة للقرطبي (٣/ ١٣٣٤).

(٤) انظر: معالم التنزيل للبغوي (٣/ ٤٣٠)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٦/ ١٨٠).

(٥) انظر: النكت والعيون للماوردي (٤/ ٢٢٧)، وزاد المسير لابن الجوزي (٦/ ١٩١).

(٦) تقدم تخريجه، وبيان ضعفه، ص (٦١ – ٦٢).

ومنها أيضاً: ما روي عن ابن عمر رضي الله عنهما أنَّ رسول الله ﷺ قال: "إذا كان الوعد الذي قال الله تعالى: ﴿أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ﴾[1]، قال: ليس ذلك بحديث ولا كلام، ولكنه سمة، تسم من أمرها الله تعالى به، يكون خروجها من الصفا ليلة منى؛ فيصبحون بين رأسها وذنبها، لا يدخل داخل، ولا يخرج خارج، حتى إذا فرغت مما أمرها الله تعالى به، فهلك من هلك ونجا من نجا، كانت أول خطوة تضعها بأنطاكية[2][3].

ومنها أيضاً: ما روي عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال لبعض أصحابه: "ألا أريكم المكان الذي قال لي رسول الله ﷺ أنَّ دابَّة الأرض تخرج منه؛ فضرب بعصاه قِبل الشَّق الذي في الصفا"[4].

---

(١) سورة النمل، الآية ٨٢.

(٢) أنطاكية: مدينة قديمة على نهر العاصي على مسافة خمسة عشر ميلاً من البحر الأبيض المتوسط، تقع في لواء الاسكندرونة التركي في الشمال الغربي لسورية شرقي البحر الأبيض المتوسط، بناها سلوقس الرابع أحد قواد الاسكندر، وسماها بذلك نسبة إلى أبيه أنطيوخس، وكانت عاصمة الامبراطورية الرومانية في الإقليم السوري، سكنها جماعة من اليهود، ومن قبلهم بعض الوثنيين، وأصبحت منطلقاً ومركزاً للنصارى في دعوتهم، دخلها الإسلام في عهد عمر على يد أبي عبيدة رضي الله عنهما.
انظر: معجم البلدان لياقوت الحموي (١/ ٢٦٦ - ٢٧٠)، والمعجم الموسوعي للديانات لسهيل زكار (١/ ١٣٢-١٣٣)، ودائرة معارف القرن الرابع عشر (العشرين) لمحمد فريد وجدي (١/ ٧٣٥)، وقاموس الكتاب المقدس (ص ١٢٤ - ١٢٦).

(٣) رواه نعيم بن حماد في الفتن (٢/ ٦٦٧)، والفاكهي في أخبار مكة (٤/ ٤٤)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (١١/ ٤٠١)، وعزاه لنعيم بن حماد وابن مردويه، والحديث ضعيف الإسناد، ففيه محمد بن عبد الرحمن بن البيلماني، وأبيه عبد الرحمن، قال الإمام الذهبي عن الابن في الميزان (٥/ ٦٣-٦٤): "ضعفوه"، وعن الأب (٣/ ٢٦٥): "من مشاهير التابعين، يروي عن ابن عمر، لينه أبو حاتم، وقال الدارقطني: ضعيف لا تقوم به حجة"، والحديث روي بعضه موقوفاً على ابن عمر من طريق ابن البيلماني عند كل من: نعيم في الفتن (٢/ ٦٦٥)، وابن جرير في التفسير (٢٠/ ١٥)، وابن أبي شيبة في المصنف (٧/ ٥٠٧)، وابن أبي حاتم في التفسير (٩/ ٢٩٢٣ - ٢٩٢٤)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٤٨٥).

(٤) أخرجه أبو يعلى في مسنده (١٠/ ٦٧)، وقال محققه: "إسناده ضعيف"، والسيوطي في الدر المنثور (١١/ ٤٠٥) وعزاه لابن مردويه.

القول الثاني: أنها تخرج من مكة المكرمة، وزاد بعضهم من المسجد الحرام، دون تحديد للصفا أو غيره، وهو مروي عن إبراهيم النخعي[1]، وجزم به البقاعي[2]، وقد حكى هذا القول القنوجي دون أنْ ينسبه لأحد، وذكر أنه من الأقوال المشهورة[3]، ويلاحظ على هذا القول أنَّ جميع الأقوال التي جاء ذكر خروج الدَّابَّة فيها من مكة؛ من الصفا أو المروة أو الحجر أو أي ناحية من نواحي المسجد يدخل فيه، وروي فيه عند الطبراني عن حذيفة بن أسيد جاء في الإسناد مقولة "أراه رفعه"، قال: "تخرج الدَّابَّة من أعظم المساجد حرمة، فبينا هم قعود إذ رنت الأرض، فبيناهم كذلك إذ تصدعت"، قال ابن عيينة، وهو أحد رجال الإسناد: "تخرج حين يسري الإمام من جمع، وإنما جعل سابق الحاج ليخبر الناس أنَّ الدَّابَّة لم تخرج"[4].

القول الثالث: أنها تخرج من مكة المكرمة من شعب أجياد، وهو مروي عن عائشة[5]، وعبد الله بن عمرو بن العاص[6]، وعبد الله بن عمر؛ وروي عنه أنَّ ذلك يكون والناس يسيرون إلى منى[7]، وورُوي القول أيضاً عن أبي

---

(١) انظر: التفسير لعبد الرزاق (٣/ ٨٥)، والمصنف لابن أبي شيبة (٧/ ٥٠٧)، والسنن الواردة في الفتن لأبي عمرو الداني (٦/ ١٢٥٨).

(٢) انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٥/ ٤٥١).

(٣) انظر: الإذاعة لما كان وما يكون بين يدي الساعة (ص ١٢١).

(٤) الحديث رواه الطبراني في المعجم الأوسط (٢/ ١٧٦ – ١٧٧)، وقال: "لم يرو هذا الحديث عن ابن جريج إلا سفيان، تفرد به: حمزة بن سعيد"، والحديث ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ٧–٨)، وقال: "رواه الطبراني في الأوسط، ورجاله ثقات"، وذكره السيوطي في الدر المنثور (١١/ ٤٠٤) وعزاه لابن مردويه.

(٥) انظر: الفتن لنعيم بن حماد (٢/ ٦٦٥)، ومصنف ابن أبي شيبة (٧/ ٥٠٧)، والدر المنثور للسيوطي (١١/ ٤٠٥).

(٦) انظر: الفتن لنعيم بن حماد (٢/ ٦٦٧)، وأخبار مكة للفاكهي (٤/ ٤٤)، وتفسير ابن أبي حاتم (٩/ ٢٩٢٥)، وتفسير الطبري (٢٠/ ١٥)، ومصنف ابن أبي شيبة (٧/ ٥٠٧)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٣/ ١٥٧)، والدر المنثور للسيوطي (١١/ ٤٠٣).

(٧) انظر: مصنف ابن أبي شيبة (٧/ ٥٠٧)، والنكت والعيون للماوردي (٤/ ٢٢٨)، وزاد المسير لابن الجوزي (٦/ ١٩١)، والدر المنثور للسيوطي (١١/ ٤١٠).

هريرة[1]، ويذكر السفاريني: أنَّ هذا القول مـن الأقـوال المشهورة، وأنـه يطلـق علـى الدَّابَّة ذات أجياد لخروجها على المشهور من شعب أجياد[2].

وهذا القول روي فيه عن أبي هريرة ﷺ أنَّ النبي ﷺ قال: "تخـرج الدَّابَّـة مـن أجياد، فيبلغ صدرها الركن اليماني، ولَمَّا يخرج ذنبها بعد، وهي دابَّة ذات وبر وقوائم"، لكن الحديث ضعيف لا يثبت[3].

وروي فيه أيضاً عن أبي هريرة ﷺ أنَّ النبي ﷺ قال: "بـئس الـشعب جيـاد - مرتين أو ثلاثاً -! قالوا: وبم ذاك يا رسول الله ؟ قال: تخرج منه الدَّابَّة؛ فتصرخ ثـلاث صرخات فيسمعها من بين الخافقين"[4].

القول الرابع: أنها تخرج من موضع بالبادية قريب من مكة، وقد حكى القول السخاوي والبرزنجي دون نسبة لأحد[5]، وقد روي في هذا القول حديث لا يثبت عن النبي ﷺ من طريق بريدة بن الحصيب ﷺ، وفيه يقول بريدة: ذهب بـي رسـول الله ﷺ

---

(١) انظر: الإشاعة لأشراط الساعة للبرزنجي (ص ٣٠٤).

(٢) انظر: لوامع الأنوار (٢/ ١٤٣ - ١٤٤).

(٣) سبق تخريجه وبيان ضعفه في أثناء الحديث عن صفة الدَّابَّة في أواخر المبحث الثالث، ص (٦٣).

(٤) رواه البخاري في التاريخ الصغير (٢/ ١٤٧)، وذكر أنَّ فيه رباح بـن عبيـد الله بـن عمـر، وأنَّ حديثـه لا يتابع عليه، وأن الإمام أحمد قال فيه: "منكر الحـديث"، وذكـره أيـضاً ابـن عـدي في الكامـل في ضـعفاء الرجال (٣/ ١٧٢)، (٧/ ١١١)، والعقيلي فـي الضعفاء (٢/ ٦١)، وقال: "لا يحفظ إلا عن رباح هـذا"، وأبو حاتم في المجروحين (١/ ٣٠٠)، والفاكهي في أخبـار مكـة (٤/ ٤٢ - ٤٣)، والطبرانـي في الأوسـط (٤/ ٣١٩)، والديلمي في الفردوس (٢/ ٢٤)، وذكره البغوي في معالم التنزيـل (٣/ ٤٣٠)، والهيثمـي في مجمع الزوائد (٨/ ٧)، وقال: "رواه الطبراني فـي الأوسـط، وفيـه ربـاح بـن عبيـد الله بـن عمـر، وهـو ضعيف"، وابن حجر في اللسان (٢/ ٤٤٢)، وذكره الـشيخ الألبـاني في السلـسلة الـضعيفة (٧/ ٣٨٨)، وقال عنه: "ضعيف".

(٥) انظر: القناعة فيما يحسن الإحاطة من أشراط الساعة للسخاوي (ص ٦٩)، والإشـاعة لأشـراط الـساعة للبرزنجي (ص ٣٠٤).

إلى موضع بالبادية، قريب من مكة، فإذا أرض يابسة، حولها رمل، فقال رسول الله ﷺ: " تخرج الدَّابَّة من هذا الموضع "، فإذا فِترٌ[1] في شِبْر. قال ابن بريدة: " فحججتُ بعد ذلك بسنين فأرانا عصاً له، فإذا هو بعصاي هذه، هكذا وهكذا "[2].

القول الخامس: أنها تخرج من صدع في الكعبة، وهذا القول مروي عن عبد الله بن عمر[3]، وذكره الشوكاني دون أنْ ينسبه لأحد[4].

القول السادس: أنها تخرج من الصفا أو المروة، وهو مروي عن أبي الطفيل عامر بن واثلة[5]، وذكر القول السخاوي والبرزنجي دون نسبة لأحد[6].

القول السابع: أنها تخرج من تهامة بين الصفا والمروة، وهذا القول حكاه الزجاج[7].

---

(١) الفتر: ما بين السبابة والإبهام إذا فتحها.
انظر: الصحاح للجوهري (١/ ٦٢٩)، ولسان العرب لابن منظور (٥/ ٤٤).

(٢) رواه أحمد في المسند (٥/ ٣٥٧)، وابن ماجة في السنن، كتاب الفتن، باب دابَّة الأرض (٢/ ١٣٥٢، رقم ٤٠٦٧)، والبخاري في التاريخ الكبير (٣/ ١٦١)، وأبو نعيم في معرفة الصحابة (٤/ ٤١٤)، وابن الجوزي في العلل المتناهية (٢/ ٩١٣)، وذكره الكناني في مصباح الزجاجة (٤/ ١٩٩)، وقال: "هذا إسناد ضعيف، خالد بن عبيد قال البخاري: في حديثه نظر، وقال ابن حبان والحاكم: حدث عن أنس بأحاديث موضوعة"، وذكره الشيخ الألباني في ضعيف سنن ابن ماجة (ص ٣٢٧)، وقال: "ضعيف جداً"، وقول ابن بريدة هي زيادة عند البخاري في التاريخ وابن ماجة في السنن.

(٣) انظر: التذكرة بأحول الموتى وأمور الآخرة للقرطبي (٣/ ١٣٣٣)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٣/ ١٥٧).

(٤) انظر: فتح القدير (٤/ ١٥١).

(٥) انظر: أخبار مكة للفاكهي (٤/ ٤٥)، والنهاية في الفتن والملاحم لابن كثير (٢/ ٢١٢).

(٦) انظر: القناعة فيما يحسن الإحاطة من أشراط الساعة للسخاوي (ص ٦٩)، والإشاعة لأشراط الساعة للبرزنجي (ص ٣٠٤).

(٧) انظر: زاد المسير لابن الجوزي (٦/ ١٩٢).

القول الثامن: أنها تخرج من حجر إسماعيل عليه السلام، وقد حكى هذا القول الدميري والسفاريني دون نسبة لأحد[1].

القول التاسع: أنها تخرج من جبل أبي قبيس[2] بمكة، وقد حكى القول الشوكاني دون أنْ ينسبه لأحد[3].

القول العاشر: أنها تخرج من مكة من داخل شجرة في أيام الحج، وهذا القول مروي عن عبد الله بن عمرو[4].

القول الحادي عشر: أنها تخرج من بعض أودية تهامة، وقد ذكر هذا القول قتادة عن ابن عباس رضي الله عنهما[5]، كما ذُكر القول عن قتادة نفسه[6].

القول الثاني عشر: أنها تخرج من مدينة سدوم؛ مدينة قوم نبي الله لوط عليه السلام، وهذا القول مروي عن عبد الله بن عمر[7]، ووهب بن منبه[8]، وذكر وهب أنه من

---

(١) انظر: حياة الحيوان للدميري (١/ ٤٥٨)، ولوامع الأنوار للسفاريني (٢/ ١٤٦).

(٢) جبل أبي قبيس: جبل من جبال مكة يشرف على الصفا، وجهه إلى قعيقعان، قيل: سمي بذلك نسبة لقبس النار، وقيل: نسبة لرجل من مذحج يكنى بأبي قبيس، وهو أحد الأخشبين بمكة، والأخشبان هما: جبل أبي قبيس، وجبل قعيقعان، وقيل: جبل أبو قبيس، والجبل الأحمر الذي كان يسمى في الجاهلية الأعرف، وقيل غير ذلك.

انظر: معجم البلدان لياقوت الحموي (١/ ٨٠ – ٨١، ١٢٢).

(٣) انظر: فتح القدير (٤/ ١٥١).

(٤) انظر: التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة للقرطبي (٣/ ١٣٣٤).

(٥) انظر: تفسير عبد الرزاق (٣/ ٨٤)، والفتن لنعيم بن حماد (٢/ ٦٦٥)، وتفسير ابن أبي حاتم (٩/ ٢٩٢٥)، والسنن الوادة في الفتن لأبي عمرو الداني (٦/ ١٢٥٧)، وزاد المسير لابن الجوزي (٦/ ١٩١)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٣/ ١٥٧)، والدر المنثور للسيوطي (١١/ ٤٠٦).

(٦) انظر: تفسير الطبري (٢٠/ ١٥)، والتذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة للقرطبي (٣/ ١٣٣٥)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٣/ ١٥٧).

(٧) انظر: النهاية في الفتن والملاحم لابن كثير (٢/ ٢١٢).

(٨) انظر: النكت والعيون للماوردي (٤/ ٢٢٦)، وزاد المسير لابن الجوزي (٦/ ١٩١)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٣/ ١٥٧).

قـول عزير ﷺ[1]، وذكر القول السخاوي والبرزنجي دون نسبة لأحد[2].

القول الثالث عشر: أنها تخرج من الطائف، وهذا القول مروي عـن عبـد الله ابن عمرو بن العـاص[3]، وقـد حكـى القـرطبي والـدميري والـسخاوي والـسفاريني والشوكاني القول دون نسبة لأحد[4].

القول الرابع عـشر: أنهـا تخـرج مـن مـسجد الكوفـة، وقـد حكـى القـرطبي والشوكاني القول دون نسبة لأحد[5].

القول الخامس عشر: أنها ستخرج ثلاث خرجات في أمـاكن متعـددة، أولهـا: من أقصى البادية، قيل: من جهة اليمن، وثانيها من بعض القرى؛ التي تكون أقرب إلى مكة، وثالثها: من مكة، ومال إليه كما تقدم السخاوي والقنوجي[6]، وقد روي القول أيضاً عن حذيفة بن أسيد[7]، وقد روي في هذا القول عن الـنبي ﷺ حـديث لا يـصح ولا يثبت، من طريـــق حذيفـــة بن أسيد الغفاري كمـا تقـدم، وفيـه أنـه قـال: ذكـر

(١) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (٩/ ٢٩٢٥)، وتفسير ابن كثير (٣/ ٣٨٨).

(٢) انظر: القناعة فيما يحسن الإحاطة من أشراط الساعة للسخاوي (ص ٦٩)، والإشـاعة لأشـراط الـساعة للبرزنجي (ص ٣٠٤).

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٣/ ١٥٧).

(٤) انظر: التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة للقرطبي (٣/ ١٣٣٥)، وحياة الحيـوان للـدميري (١/ ٤٥٨)، والقناعة فيما يحسن الإحاطـة مـن أشـراط الـساعة للـسخاوي (ص ٧٠)، ولوامـع الأنـوار للـسفاريني (٢/ ١٤٦)، وفتح القدير للشوكاني (٤/ ١٥١).

(٥) انظر: التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخـرة للقـرطبي (٣/ ١٣٣٤)، والجـامع لأحكـام القـرآن للقـرطبي (١٣/ ١٥٧)، وفتح القدير للشوكاني (٤/ ١٥١).

(٦) انظر: القناعة فيما يحسن الإحاطة من أشراط الساعة للسخاوي (ص ٦٩)، والإذاعة لما كان ويكون بـين يدي الساعة للقنوجي (ص ١٢١).

(٧) انظر: تفسير الطبري (٢٠/ ١٤)، وزاد المسير لابن الجوزي (٦/ ١٩٢)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٣/ ١٥٧).

رسول الله ﷺ الدَّابَّة فقال: "لها ثلاث خرجات من الدهر: فتخرج في أقصى البادية، ولا يدخل ذكرها القرية - يعني مكة - ثم تكمن زماناً طويلاً، ثم تخرج خرجة أخرى دون ذلك، فيفشو ذكرها في البادية، ويدخل ذكرها القرية - يعني مكة - قال رسول الله ﷺ: "ثم بينما الناس في أعظم المساجد على الله حرمة خيرها وأكرمها على الله المسجد الحرام لم يرعهم إلا وهي ترغو بين الركن والمقام..." الحديث[1].

وقد حدد بعضهم - كما تقدم أثناء الحديث عن أوجه الجمع – أقصى البادية بمدينة قوم لوط؛ وهي سدوم، وبعض القرى أو البادية القريبة ببعض أودية تهامة، وأدخل ما يحيط بمكة من أماكن في مكة التي تكون منها الخرجة الثالثة.

القول السادس عشر: أنَّ خروجها سيكون من جميع الأماكن الواردة في الأحاديث، في وقت واحد، وقد قال بهذا الكوراني كما حكاه عنه السفاريني[2]، وذكره البرزنجي دون نسبة لأحد[3]، ويدخل في هذ القول - وذلك من ناحية خروجها من أماكن متعددة – قول من قال بأنَّ الدَّابَّة اسم جنس مبثوث نوعها في الأرض، لا دابَّة واحدة[4].

---

(١) الحديث تقدم تخريجه، وبيان ضعفه في أوائل المبحث الثالث، ص (٢٤).

(٢) انظر: لوامع الأنوار (٢/ ١٤٥).

(٣) انظر: الإشاعة لأشراط الساعة (ص ٣٠٤).

(٤) انظر هذا القول والرد عليه في أثناء ذكر أقوال الناس في الدابة في المبحث الثالث.

المبحث الثامن

أثر الإيمان بالدَّابَّة

إنَّ الله - سبحانه وتعالى - لحكم سامية أخفى على خلقه وقت وقوع الساعة وقيامها، فهو أصلح للعباد لئلا يتباطؤا عن التأهب والاستعداد[١].

قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لاَ يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلاَّ هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لاَ تَأْتِيكُمْ إِلاَّ بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ﴾[٢].

لكنه سبحانه وتعالى، ولحكم سامية أيضاً ذكر لخلقه أنَّ وقتها قريب، وأنَّ لها أشراطاً وعلامات مؤذنة بوقوعها، فقال عز وجل: ﴿إِنَّ السَّاعَةَ ءاَتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى﴾[٣]، وقال عز في علاه: ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَاء أَشْرَاطُهَا فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ﴾[٤]، وقال عز من قائل: ﴿حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ، وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ﴾[٥]، وقال في أمر الدَّابَّة: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لا يُوقِنُونَ﴾[٦].

---

(١) انظر: لوامع الأنوار للسفاريني (٢/ ٦٦).

(٢) سورة الأعراف، الآية ١٨٧.

(٣) سورة طه، الآية ١٥.

(٤) سورة محمد، الآية ١٨.

(٥) سورة الأنبياء، الآيتان ٩٦ – ٩٧.

(٦) سورة النمل، الآية ٨٢.

وإخبار الله - تبارك وتعالى - خلقه عن أشراط الساعة وعلامات وقوعها ما هو إلا رحمة بهم، وشفقة عليهم، كي يتنبهوا من رقدتهم ويعودوا لربهم، قبل وقوع القول، وقبل أنْ يأتي ذلك اليوم؛ الذي يغلق فيه باب التوبة، فلا تقبل فيه طاعة، وقبل أنْ يأتي ذلك اليوم؛ الذي يفر المرء فيه من أخيه، وأمه وأبيه، وصاحبته وبنيه، ومن قبل أنْ يأتي يوم الحسرة والندامة؛ الذي يقول فيه المفرط: رب لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين، ويقول الكافر: رب ارجعون لعلي أعمل صالحاً فيما تركت، ويقول: يا ليتني كنت تراباً، ذلك اليوم الذي لا ينفع معه الحذر، ولا تجدي عندها الحيطة، ذلك اليوم الذي لم يقع إلا بعد تلاشي الإيمان بالله، وظهور الفساد، وترك أوامر الله، وتبديل دين الله، وتضييع الحقوق، وتعطيل الحدود، وانحدار البشرية انحداراً لا يُرجى بعده صلاح وفلاح، وانحسار الخير، وكثرة الخبث، وقلة العلم، وتفشي الجهل، وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ولقد اهتم النبي ﷺ بأشراط الساعة كثيراً فنجده - عليه الصلاة والسلام - لم يترك مناسبة فيها ذكر للساعة إلا ودل صحبه وأمته على شرط من أشراطها؛ وعلامة من علاماتها؛ سواء كانت من الكبرى أو الصغرى.

كما اهتم الصحابة الكرام - رضوان الله تعالى عليهم - بذلك، فنجدهم قد وعوا الدرس النبوي جيداً، فتدارسوا وتذاكروا أمرها وآياتها في مجالسهم ونواديهم، فعن حذيفة بن أسيد الغفاري ﷺ قال: "اطَّلَعَ النبي ﷺ علينا ونحن نتذاكر فقال: ما تذاكرون ؟ قالوا: نذكر الساعة. قال: إنها لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات؛ فذكر: الدخان، والدَّجال، والدَّابَّة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى ابن مريم ﷺ، ويأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوف: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك؛ نار تخرج من اليمن، تطرد الناس إلى محشرهم"[1].

---

(١) تقدم تخريجه في أثناء المبحث الثاني ، ص (١٧).

فتدارس الساعة وأشراطها، وتدارس ما نحن بصدد الحديث عنه؛ وهو خروج دابَّة الأرض، له فوائد وآثار جمة يجدها المتأمل في كتاب الله تبارك وتعالى، وسنة نبيه ﷺ.

ولعل من أهم تلك الفوائد والآثار: الإيمان باليوم الآخر، فأشراط الساعة مقدمة من مقدمات هذا الركن العظيم، الذي يعتبر من أهم أركان الإيمان الستة؛ التي يجب على المسلم اعتقادها، والعمل بمقتضاها، فالإيمان به قرنه الله - تبارك وتعالى - بالإيمان به وتوحيده في غير موضع من كتابه، وما ذلك إلا لأهميته وعظمه.

والإيمان باليوم الآخر ليس المقصود منه اعتقاد أنه طريق للثواب والعقاب فحسب، بل هو بالإضافة إلى ذلك طريق وحافز لامتثال أوامر الله واجتناب نواهيه، وتحقيق العبودية الحقة التي خلقنا الله من أجلها.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ هَادُواْ وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾(١).

وقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾(٢).

ومنها أيضاً: الإيمان بالغيب، ولا سيما في هذا العصر الذي أصبح بعض أهله لا يؤمن إلا بالمادة والمحسوس، فالدَّابَّة غيب، والدخان، والدَّجال غيب، ونزول عيسى غيب، وطلوع الشمس من مغربها غيب، وقل مثل ذلك في بقية الأشراط، بلها أغلب مباحث الاعتقاد.

---

(١) سورة البقرة، الآية ٦٢.

(٢) سورة النساء، الآية ٥٩.

والإيمان بالغيب صفة من صفات أهل الإيمان والتُّقى؛ الذين أثنى الله عليهم في غير موضع في كتابه، وهو سبيل من سبل الاستقامة، وطريق من طرق زيادة الإيمان، والرقي إلى مرتبة الإحسان.

قال الله تعالى:﴿الم، ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ، الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾[1].

وقال سبحانه : ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاء وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ، الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَهُم مِّنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ﴾[2].

وقال سبحانه:﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾[3].

ومنها أيضاً: الدعوة للتوبة إلى الله، والرجوع إليه سبحانه، وتطهير النفوس من تلك الأردان والأوزار؛ التي انغمس فيها كثير من بني البشر، فصارت كالران على قلوبهم، وأصبحت قلوب البعض لا تعرف معروفاً، ولا تنكر منكراً، كالكوز مجخياً.

ولقد حذر النبي ﷺ أمته وأنذرها، وأمرها بالتوبة والرجوع إلى خالقها سبحانه قبل أنْ تأتي الساعة أو بعض آياتها؛ فقال عليه الصلاة والسلام كما في حديث أبي هريرة ﷺ: " ثلاث إذا خرجن لا ينفع نفساً إِيمَانُهَا لم تكن آمنت من قبل، أو كسبت في إيمانها خيراً: طلوع الشمس من مغربها، والدَّجال، ودابَّة الأرض "[4]، وقال ﷺ أيضاً كما في حديث أبي هريرة ﷺ: " لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت ورآها الناس آمن الناس أجمعون، فذلك حيث لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن

---

(١) سورة البقرة، الآيات ١ – ٣.

(٢) سورة الأنبياء، الآيتان ٤٨ – ٤٩.

(٣) سورة الملك، الآية ١٢.

(٤) تقدم تخريجه في أثناء المبحث الثاني، ص (١٧).

آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً"[1]، وقال أيضاً كما في حديث أبي مالك الأشعري ﷺ: " إنَّ ربكم أنذركم ثلاثاً: الدخان؛ يأخذ المؤمن كالزكمة، ويأخذ الكافر فينتفخ حتى يخرج من كل مسمع منه، والثانية: الدَّابَّة، والثالثة: الدَّجال"[2].

وهذه الأحاديث النبوية جاء ما يعضدها في كتاب الله تعالى، فقال جل من قائل: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن تَأْتِيهُمُ الْمَلآئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لاَ يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انتَظِرُواْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾[3]، وصدق الله القائل لحبيبه وخليله : ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا، فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَاهَا، إِلَى رَبِّكَ مُنتَهَاهَا، إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَاهَا﴾[4].

ومنها أيضاً: الدعوة للمسارعة والمبادرة بعمل الصالحات وفعل الخيرات، فإنَّ استشعار قرب الساعة وظهور علاماتها يورث في القلب الوجل والخوف من دنو الأجل، وقرب فناء هذه الدنيا الزائلة، وذلك مما يشجع الإنسان ويحفزه للمسارعة والمبادرة بفعل الخيرات واجتناب المنهيات، ولقد أرشد النبي ﷺ لذلك صراحة بقوله لصحابته الكرام، كما في حديث أبي هريرة: "بادروا بالأعمال ستاً: الدَّجال، والدخان، ودابَّة الأرض، وطلوع الشمس من مغربها، وأمر العامة، وَخُوَيْصةَ أحدكم"[5]، وبقوله عليه الصلاة والسلام كما في حديث أنس بن مالك: " إنْ قامت الساعة و في يد أحدكم

---

(١) تقدم تخريجه في أثناء المبحث السادس، ص (٨٩).

(٢) رواه ابن جرير الطبري في التفسير (٢٥/ ١١٤)، والطبراني في المعجم الكبير (٣/ ٢٩٢)، وذكره ابن كثير في التفسير (٤/ ١٥٠)، وقال عن إسناده: " جيد"، وذكره ابن حجر في الفتح (٨/ ٥٧٣)، وقال عنه وعن حديث ابن عمر في أمر الدخان: " وإسنادهما ضعيف أيضاً؛ لكن تضافر هذه الأحاديث يدل على أنَّ لذلك أصلاً"، وذكره السيوطي في الدر المنثور (١٣/ ٢٦٨) وجوَّد إسناده.

(٣) سورة الأنعام، الآية ١٥٨.

(٤) سورة النازعات، الآيات ٤٢- ٤٥.

(٥) تقدم تخريجه في أثناء المبحث الثاني. ص (١٥-١٦).

فسيلة، فإنْ استطاع أنْ لا تقوم حتى يغرسها فليغرسها"[1]، وبقوله عليه الصلاة والسلام كما في حديث أبي هريرة: "بادروا بالأعمال فتناً كقطع الليل المظلم؛ يصبح الرجل مؤمناً، ويمسي كافراً، أو يمسي مؤمناً ويصبح كافراً، يبيع دينه بعرض من الدنيا"[2].

قال ابن الأثير – رحمه الله – عن المبادرة الواردة في الحديث الأول: "ومعنى مبادرتها بالأعمال الانكماش في الأعمال الصالحة، قبل وقوعها، وفي تأنيث الست إشارة إلى أنها مصائب ودواه"[3].

وقال النووي – رحمه الله – عن معنى المبادرة الواردة في الحديث الثالث: "معنى الحديث: الحث على المبادرة إلى الأعمال الصالحة قبل تعذرها والاشتغال عنها بما يحدث من الفتن الشاغلة المتكاثرة المتراكمة كتراكم ظلام الليل المظلم لا المقمر. ووصف ﷺ نوعاً من شدائد تلك الفتن، وهو أنه يمسي مؤمناً ثم يصبح كافراً أو عكسه – شك الراوي – وهذا لعظم الفتن ينقلب الإنسان في اليوم الواحد هذا الانقلاب، والله أعلم"[4].

ولقد حث الله – تبارك وتعالى – في كتابه العزيز إلى المسارعة بالطاعة، والمبادرة

---

(١) رواه أحمد في المسند (٣/ ١٨٣ – ١٨٤، ١٩١)، والطيالسي في المسند (ص ٢٧٥)، والبخاري في الأدب المفرد (ص ١٦٨)، والضياء في المختارة (٧/ ٢٦٢، ٢٦٤)، والحديث صححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١/ ١١ – ١٢)، وصحيح الجامع (١/ ٣٠٠).

(٢) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الحث على المبادرة بالأعمال قبل تظاهر الفتن (١/ ١٠٢ – ١٠٣، رقم ١١٨).

(٣) النهاية في غريب الحديث (٢/ ٣٧).

(٤) شرح النووي على صحيح مسلم (٢/ ١٣٣).

إليها قبل فوات الأوان، في غير موضع في كتابه، فقال عز في علاه:﴿وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ، وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ، الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاء وَالضَّرَّاء وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾[1]، وقال سبحانه : ﴿وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾[2]، وقال سبحانه : ﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاء وَالأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاء وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾[3].

قال العلامة السعدي – رحمه الله – في تفسيره لآية الحديد الأخيرة: " ثم أمر بالمسابقة إلى مغفرة الله ورضوانه وجنته، وذلك يكون بالسعي بأسباب المغفرة، من التوبة النصوح، والاستغفار النافع، والبعد عن الذنوب ومظانها، والمسابقة إلى رضوان الله بالعمل الصالح، والحرص على ما يرضي الله على الدَّوام، من الإحسان في عبادة الخالق، والإحسان إلى الخلق بجميع وجوه النفع، ولهذا ذكر الله الأعمال الموجبة لذلك، فقال:﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاء وَالأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾[4]، والإيمان بالله ورسله يدخل فيه أصول الدين وفروعه "[5].

وكذلك إنَّ في استشعار ما ستقوم به الدَّابَّة من كلام للناس، ووسم لهم؛ فيعرف مؤمنهم من كافرهم، وشهادتها بأنَّ الناس كانوا بآيات الله لا يوقنون؛ استشعار لما سيكون في عرصات القيامة من شهادة الشهود على ما قام به الإنسان من

---

(١) سورة آل عمران، الآيات ١٣٢ – ١٣٤.

(٢) سورة المنافقون، الآية ١٠.

(٣) سورة الحديد، الآية ٢١.

(٤) سورة الحديد، الآية ٢١.

(٥) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (٤/ ١٧٨٢ – ١٧٨٣).

اقتراف للذنوب والخطوب، ففي ذلك اليوم كل يشهد، فالألسنة تشهد، والأيدي تشهد، والأرجل تشهد، والجلود تشهد، والسمع يشهد، والبصر يشهد، والأرض تشهد، والصحف التي كتبت فيها الأعمال تشهد، فالله المستعان، ولا حول ولا قوة إلا به، وهو على كل شيء شهيد.

قال عز من قائل:﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ، يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾[1].

وقال سبحانه:﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ، حَتَّى إِذَا مَا جَاؤُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ، وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ، وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلا أَبْصَارُكُمْ وَلا جُلُودُكُمْ وَلَكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ اللَّهَ لا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ، وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنْ الْخَاسِرِينَ﴾[2].

وقال سبحانه: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾[3].

وقال سبحانه: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾[4].

وآخراً وليس أخيراً: لا يفوتني أنْ أذكر بعضاً مما ذكره علماء الإسلام في

---

(١) سورة النور، الآيتان ٢٤ – ٢٥.

(٢) سورة فصلت، الآيات ١٩ – ٢٣.

(٣) سورة الكهف، الآية ٤٩.

(٤) سورة المجادلة، الآية ٦.

تضاعيف كتبهم عن بعض فوائد وحكم وآثار تدارس ومذاكرة أمر الساعة وأشراطها على الناس وحياتهم:

قال الإمام القرطبي رحمه الله: "قال العلماء رحمة الله عليهم: والحكمة في تقديم الأشراط ودلالة الناس عليها: تنبيه الناس عن رقدتهم، وحثهم على الاحتياط لأنفسهم بالتوبة والإنابة كي لا يعافصوا بالحول بينهم وبين تدراك الفوارط منهم، فينبغي للناس أنْ يكونوا بعد ظهور أشراط الساعة قد نظروا لأنفسهم، وانفطموا عن الدنيا، واستعدوا للساعة الموعود بها، والله أعلم. وتلك الأشراط علامة لانتهاء الدنيا وانقضائها، فمنها خروج الدَّجال، ونزول عيسى وقتله الدَّجال، ومنها خروج يأجوج ومأجوج، ودابَّة الأرض، ومنها طلوع الشمس من مغربها، هذه هي الآيات العظام"[1].

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله: "والحكمة في تقدم الأشراط إيقاظ الغافلين وحثهم على التوبة والاستعداد"[2].

وقال العلامة السفاريني رحمه الله: "ولما كان أمر الساعة شديداً، وهولها مزيداً، وأمرها بعيداً، كان الاهتمام بشأنها أكثر من غيرها، ولهذا أكثر النبي ﷺ من بيان أشراطها وأماراتها، وأخبر عما بين يديها من الفتن البعيدة والقريبة، ونبه أمته وحذرهم ليتأهبوا لتلك العقبة الشديدة"[3].

هذه بعض من آثار الإيمان بالدَّابَّة وبقية الأشراط على المسلم وحياته ومجتمعه، فنسأل الله - سبحانه وتعالى - أنْ ينفعنا بما علمنا، وأنْ يبارك ويتقبل عملنا، والله المستعان وعليه التكلان.

---

(١) التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة (٣/ ١٢١٧).

(٢) فتح الباري (١١/ ٣٥٠).

(٣) لوامع الأنوار البهية (٢/ ٦٥ - ٦٦).

الخاتمـــة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على رسوله الأمين، وآله الطيبين الطاهرين، وصحبه الغر الميامين، ومن سار على نهجه واستن بسنته إلى يوم الدين، وبعد:

فبفضل من الله وتوفيقه انتهيت من هذه الدِّراسة، التي تناولت فيها علامة وآية من آيات الساعة الكبرى؛ التي ستظهر في آخر الزمان، وهي خروج دابَّة الأرض وظهورها للعيان، وقد جعلتها في ثمانية مباحث، أولها في التعريف بالدَّابَّة، وثانيها في الأدلة الدالة على خروج دابَّة الأرض، وثالثها في أقوال الناس فيها، ورابعها في أسباب خروجها، وخامسها في عملها ووظيفتها، وسادسها وسابعها في وقت ومكان خروجها، وثامنها في أثر الإيمان بها، ولعل من أهم النتائج التي يمكن أنْ تقال في نهاية المطاف:

١- إنَّ الإيمان بالساعة وأشراطها، ومعرفة علاماتها، ينطوي تحت ركن في الدين عظيم، وهو الإيمان باليوم الآخر.

٢- إنَّ النبي ﷺ اهتم بأشراط الساعة كثيراً فلم يترك عليه الصلاة والسلام مناسبة فيها ذكر للساعة إلا ودل صحبه وأمته على شرط من أشراطها.

٣- إنَّ الصحابة الكرام قد وعوا الدرس النبوي جيداً في أمر الساعة وأشراطها، فتدارسوا وتذاكروا أمرها وآياتها في مجالسهم ونواديهم.

٤- إنَّ المداومة في الحديث عن الساعة وأشراطها بين الناس عبر الأزمان، أمر رغب ودعا إليه علماء الإسلام.

٥- إنَّ الدَّابَّة في لغة العرب اسم لما دبَّ من الحيوان مُمَيِّزةً وغير مُمَيِّزة، والدَّب على الأرض هو المشي عليها بخفة مع تقارب في الخطى.

٦- إنَّ لفظ الدَّابَّة استعمل في القرآن الكريم في مواطن كثيرة، فتارة أطلق على الإنسان والحيوان معاً، وتارة أطلق على الإنسان وحده، وتارة على الحيوان وحده، واستعمل في التعبير عن الحيوان أكثر من استعماله للإنسان.

٧- إنَّ الاعتقاد بظهور دابَّة الأرض وخروجها منها في أواخر الزمان عند قرب قيام الساعة، وأنَّ ذلك يعدُّ شرطاً من أشراطها الكبرى ثابت بكتاب الله تعالى، وسنة المصطفى ﷺ، وهو مجمع عليه بين سلف وعلماء الأمة.

٨- إنَّ أهل السنة والجماعة يوجبون الإيمان بكل ما أخبر الله تعالى به، وكل ما صح به الخبر عن النبي ﷺ مما شهدناه، أو غاب عنا، سواء في ذلك ما عقلناه، أو جهلناه، ولم نطلع على حقيقة معناه.

٩- إنَّ المجزوم به، والذي يجب اعتقاده في أمر الدَّابَّة: أنَّ الله سبحانه سيُخرج دابَّة من دواب الأرض؛ من جنس الحيوان لا من جنس الإنسان، لم يرد في النصوص الصحيحة أنها من الدَّواب المعهودة، وهي مباينة لأصناف الدَّواب الموجودة، منفردة بنفسها، تخرج من بقعة من بقاع الأرض، اشتهر أنها مكة، قرب قيام الساعة، تكلم الناس حقيقة، وتذكرهم بآيات ربهم، وتَسِمهم؛ فيُعْرَف مؤمنهم وكافرهم، وأنها عظيمة في تكوينها، وفيما يَصْدُر عنها، مقارنة في عظمها لطلوع الشمس من مغربها، ونزول مسيح الهدى، وخروج مسيح الضلال.

١٠- إنَّ أقوال العلماء والناس اختلفت في حقيقة الدَّابَّة إلى أقوال كثيرة، جمعتُ منها سبعة عشر قولاً، ابتعدت أقوال بعضهم كل البعد عن هدي ومنهج السلف في أمور الغيبيات، فوقعت في التأويلات الباطنية الباطلة المنحرفة؛ التي لم تعتمد في قولها على سنة أو كتاب.

١١- إنَّ إنكار أشراط الساعة أو تأويلها، والقول بأنَّ عذاب القبر عبارة عن رموز وليس حقيقة، هو كلام باطل مخالف لنصوص الكتاب والسنة، وما عليه إجماع علماء وسلف الأمة.

١٢- إنَّ منشأ الخلل عند من أوَّل الدَّابَّة بتأويلات بعيدة، أو قال أنها اسم جنس يطلق على نوع من الحيوانات؛ كالجراثيم أو الحشرات، أو الأرضة أو النمل، وعند أصحاب المدرسة العقلية الفلسفية، هو قياس أمور الغيب على ما عرف من أدوات وأقيسة أمور الشهادة، فلم يفرقوا بين الغيب والشهادة، فنظروا للغيب بمنظور الشهادة، وتناسوا أنَّ طريقة القياس التي سلكوها لا تستقيم، وأنَّ طريق الغيب هو طريق خبري لا بد فيه من الوقوف عند خبر السماء.

١٣- لم يثبت عن النبي ﷺ في وصف هيئة وشكل الدَّابَّة حديث صحيح.

١٤- حينما لا يؤمن الناس بآيات الله، وعندما يظهر الفساد وينتشر، وتُترك أوامر الله، ويُبدل دينه، وتُضيَّع الحقوق، وتُعطل الحدود، وتنحدر البشرية انحداراً لا يُرجى بعده صلاح، وينحسر الخير، ويكثر الخبث، ويقل العلم، ويتفشى الجهل، ويُترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، عندها تقوم الساعة وتتابع أشراطها الكبرى، ويقع القول من الله تبارك وتعالى، فتخرج الدَّابَّة من مكمنها، وتُبرز مؤمن الناس من كافرهم بوسمها وخطمها لهم.

١٥- إنَّ من أهم الأعمال التي ستقوم بها الدَّابَّة: خروجها للناس من الأرض وظهورها لهم، وبالتالي رؤيتهم لها، ثم تكليمها للناس وتذكيرهم بآيات ربهم، ثم وسمها لهم فيُعرف مؤمنهم من كافرهم.

١٦- إنَّ ما ذكره بعض أهل العلم من أنَّ الدَّابَّة هي قاتلة إبليس وخاطمته لم يثبت به حديث صحيح عن النبي ﷺ.

١٧- إنَّ الذي عليه جماهير أهل التفسير وأئمة الإسلام أنَّ معنى قوله تعالى: ﴿تُكَلِّمُهُمْ﴾ الوارد في آية النمل هو الكلام والمخاطبة بلسان المقال لا بلسان الحال، وأنَّ من قال: إنَّ الدَّابَّة لا تتكلم بمعنى المخاطبة وإنما تكليمها بمعنى التجريح فقط هو كلام مرجوح.

١٨- إنَّ العلماء اختلفوا في كنه وماهية كلام الدَّابَّة للناس إلى أقوال عدة، هي عبارة عن تفاسير واجتهادات حول الآية الكريمة، والأحاديث النبوية الواردة، والنَّاظر في هذه الأقوال يجد أنَّ مصبها ومآلها واحد؛ وهو التوبيخ والتقريع لمن لم يؤمن بالله وآياته، وبيان حاله.

١٩- إنَّ العلماء القائلين بوسم الدَّابَّة للناس اختلفوا في كيفية الوسم ومكانه إلى أقوال عدة، وذلك بعد اتفاقهم على أنَّ الدَّابَّة ستميز بين مؤمن الناس وكافرهم بما تقوم به من وسم وتكليم، ومرد أقوالهم واحد، حيث إنَّ جميع أقوالهم مفادها أنَّ الدَّابَّة ستبرز أهل الإيمان من أهل الكفر.

٢٠- إنَّ الأولوية المذكورة في الأحاديث المتعلقة في أشراط الساعة هي أولوية اعتبارية إضافية، ولعل ما ذهب إليه ابن حجر، ورجحه مرعي بن يوسف، وحسنه السخاوي أقرب التوجيهات والطرق التي جُمع فيها بين الأحاديث الواردة، وما ذكره ابن حجر عند التحقيق لا يبعد بعيداً عما ذكره الطيبي والمناوي من توجيه؛ فثمرة الطريقتين من وجهة نظري واحدة.

٢١- إنَّ خروج الدَّابَّة سيكون نهاراً في وقت الضحى بعد طلوع الشمس من مغربها بقليل، وقبلها وقبل طلوع الشمس سيكون خروج المهدي والدَّجال ونزول المسيح عيسى ابن مريم ويأجوج ومأجوج والخسوفات الثلاثة.

٢٢- إنَّ الله تعالى ذكر في كتابه العزيز أنَّ خروج الدَّابَّة سيكون من الأرض لا من السماء؛ لكنه لم يحدد من أي بقاع الأرض سيكون خروجها.

٢٣- لم يثبت عن النبي ﷺ حديث صحيح مرفوع فيه مكان خروج الدَّابَّة، وأنَّ أكثر ما روي في تحديد موطن خروجها روايات متعارضة موقوفة على بعض الصحابة الكرام متكلم في أسانيد كثير منها، أو روايات مذكورة عمن هو دونهم من التابعين وتابعيهم من علماء الأمة، ومفسري الكتاب العزيز.

٢٤- إنَّ أشهر ما جاء في مكان خروج الدَّابَّة وتكاد كثير من الأقوال تجتمع عليه، وجزم به غير واحد من العلماء والمفسرين هو: أنَّ خروجها سيكون من مكة المكرمة، وأنَّ ذلك يكون من المسجد الحرام من عند الصفا، أو من شعب أجياد.

٢٥- إنَّ من أهم آثار الإيمان بخروج دابَّة الأرض وظهورها، والإيمان بالساعة وأشراطها:

أولاً: الإيمان باليوم الآخر، الذي يعد ركناً من أركان الإيمان الستة.

ثانياً: الإيمان بالغيب، الذي لا يتم إيمان المسلم إلا بالإيمان به، ولا سيما في هذا العصر الذي أصبح بعض أهله لا يؤمن إلا بالمادة والمحسوس.

ثالثاً: الدعوة للتوبة إلى الله، والرجوع إليه، وتطهير النفوس من الذنوب والأوزار، قبل مجيء اليوم الذي لا تنفع فيه توبة، ولا تغسل فيه حوبة.

رابعاً: الدعوة للمسارعة والمبادرة بعمل الصالحات وفعل الخيرات؛ فإنَّ استشعار قرب الساعة وظهور علاماتها يورث في القلب الوجل والخوف من دنو الأجل، وكبح جماح النفس عن الجري وراء الدنيا وملذاتها، ونسيان الآخرة وأهوالها.

خامساً: تقوية الإيمان وزيادته؛ فاستشعار ما ستقوم به الدَّابَّة من كلام للناس، ووسمها لهم؛ فيُعْرف مؤمنهم من كافرهم، وشهادتها بأنَّ الناس كانوا بآيات الله لا يوقنون دعوة لاستشعار ما سيكون في عرصات القيامة من شهادة الشهود على ما قام به الإنسان من اقتراف للذنوب.

هذا: والله تعالى أسأل أنْ أكون قد وفقت للوصول إلى الهدف والمراد، مع يقيني بأنَّ عمل البشر لا يخلو من دخن، والتسديد والتوجيه من أولي النُّهَى يُنتظر، كما أسأله - عز في علاه - أنْ يرزقني الإخلاص في القول والعمل، وأنْ يتجاوز عن التقصير والزلل، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه، ومن سار على نهجه، والله تعالى أعلم، والحمد لله أولاً وآخراً.

قائمة المراجـــع

١- القرآن الكريم.

٢- إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة، حمود بن عبد الله التويجري، دار الصميعي، الرياض، ط٢، ١٤١٤هـ.

٣- اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية، محمد بن أبي بكر بن القيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٤هـ.

٤- الأحاديث المختارة، ضياء الدين محمد بن عبد الواحد المقدسي، تحقيق: عبدالملك بن دهيش، مكتبة النهضة الحديثة، مكة المكرمة، ط١، ١٤١٠هـ.

٥- أخبار أصبهان، أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، الدار العلمية، الهند، ط٢، ١٤٠٥هـ.

٦- أخبار مكة، محمد بن إسحاق الفاكهي، تحقيق عبد الملك بن دهيش، دار خضر، بيروت، ط٢، ١٤١٤هـ.

٧- أخبار مكة، محمد بن عبد الله الأزرقي، مكتبة خياط، بيروت.

٨- الآداب الشرعية، محمد بن مفلح المقدسي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط١٩٨٧م.

٩- الأدب المفرد، محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط٣، ١٤٠٣هـ.

١٠- الإذاعة لما كان وما يكون بين يدي الساعة، محمد صديق خان القنوجي، تحقيق: مصطفى الحجيري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١٤٢٥هـ.

١١- الارتباط الزمني والعقائدي بين الأنبياء والرسل، الحاج محمد وصفي، عناية: بسام الجابي، دار ابن حزم، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ.

١٢- الإشارات الإلهية إلى المباحث الأصولية، سليمان بن عبد القوي الطوفي، إعداد: أبو عاصم حسن بن عباس بن قطب، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، القاهرة، ط١، ١٤٢٣هـ.
١٣- الإشاعة لأشراط الساعة، محمد بن رسول البرزنجي، تحقيق: أحمد بن علي، دار الحديث، القاهرة، ط١٤٢٣هـ.
١٤- أشراط الساعة، يوسف الوابل، مكتبة ابن الجوزي، الدمام، ط١، ١٤٠٩هـ.
١٥- الإصابة في تمييز الصحابة، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: علي البجاوي، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ.
١٦- الأصول من الكافي، محمد بن يعقوب الكليني، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، دار صعب، بيروت، ط٤، ١٤٠١هـ.
١٧- بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، محمد باقر المجلسي، مؤسسة الوفاء، بيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ.
١٨- بحر العلوم، نصر بن محمد السمرقندي، تحقيق وتعليق: علي معوض، وعادل عبد الموجود، وزكريا النوتي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٣هـ.
١٩- البحر المحيط، أبو حيان محمد بن يوسف الأندلسي، دار الكتاب الإسلامي، ط٢، ١٤١٣هـ.
٢٠- بذل المجهود في إثبات مشابهة الرافضة لليهود، عبد الله الجميلي، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة المنورة، ط٢، ١٤١٤هـ.
٢١- البيان والتبيين، عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق: عبد السلام هارون، المكتبة الفيصلية، مكة، ط٥، ١٤٠٥هـ.
٢٢- تاج العروس، محمد بن مرتضى الزبيدي، دار مكتبة الحياة، بيروت، ط١٣٠٦هـ.

٢٣- التاريخ الصغير، محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: محمود إبراهيم زايد، دار الوعي، حلب، ومكتبة دار التراث، القاهرة، ط١، ١٣٩٧هـ.
٢٤- التاريخ الكبير، محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: السيد هاشم الندوي، دار الفكر، بيروت.
٢٥- التدمرية، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق: محمد بن عودة السعوي، مكتبة العبيكان، الرياض، ط٣، ١٤١٦هـ.
٢٦- التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، تحقيق: الصادق بن محمد بن إبراهيم، مكتبة دار المنهاج، الرياض، ط١، ١٤٢٥هـ.
٢٧- تفسير البيضاوي، عبد الله بن عمر بن محمد البيضاوي، تحقيق: عبد القادر عرفات العشا حسونة، دار الفكر، بيروت، ط١٤١٦هـ.
٢٨- تفسير الطبري، محمد بن جرير الطبري، دار الفكر، بيروت، ط١٤٠٥هـ.
٢٩- تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر بن كثير، دار المعرفة، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ.
٣٠- تفسير القرآن العظيم، عبد الرحمن بن محمد بن أبي حاتم، تحقيق: أسعد الطيب، مكتبة الباز، مكة المكرمة، ط١، ١٤١٧هـ.
٣١- تفسير القرآن، عبد الرزاق بن همام الصنعاني، تحقيق: مصطفى مسلم محمد، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤١٠هـ.
٣٢- تفسير القرآن، عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام، تحقيق: عبد الله بن إبراهيم الوهيبي، الأحساء، ط١، ١٤١٦هـ.
٣٣- التفسير الكبير، فخر الدين الرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣.
٣٤- تفسير مجاهد، مجاهد بن جبر المخزومي، تحقيق: عبد الرحمن الطاهر السورتي، المنشورات العلمية، بيروت.

٣٥- تقريب التدمرية، محمد بن صالح العثيمين، دار الوطن، الرياض، ط١، ١٤١٢هـ.

٣٦- تقريب التهذيب، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد عوامة، دار الرشيد، سوريا، ط١، ١٤٠٦هـ.

٣٧- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، يوسف بن عبد الله بن عبد البر، تحقيق: سعيد أحمد أعراب، مكتبة ابن تيمية، القاهرة.

٣٨- تهذيب التهذيب، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤٠٤هـ.

٣٩- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تقديم: عبد الله العقيل، وبكر أبو زيد، عناية: سعد الصميل، دار ابن الجوزي، الدمام، ط١، ١٤٢٢هـ.

٤٠- الجامع الصحيح، محمد بن عيسى الترمذي، تحقيق وشرح: أحمد شاكر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ.

٤١- الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد القرطبي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ.

٤٢- حاشية الشهاب، أحمد بن محمد الخفاجي، ضبط وتخريج: عبد الرزاق المهدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١٤١٧هـ.

٤٣- حياة الحيوان الكبرى، كمال الدين محمد بن موسى الدميري، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط٤، ١٣٨٩هـ.

٤٤- دائرة معارف القرن الرابع عشر (العشرين)، محمد فريد وجدي، دار المعرفة، بيروت، ط٣، ١٩٧١م.

٤٥- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، السمين الحلبي، تحقيق: أحمد الخراط، دار القلم، دمشق، ط١، ١٤١٤هـ.

٤٦- الدر المنثور في التفسير بالمأثور، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، بالتعاون مع: مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية، القاهرة، ط١، ١٤٢٤هـ.

٤٧- رسالة إلى أهل الثغر، أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري، تحقيق: عبد الله شاكر الجنيدي، مكتبة العلوم والحكم، دمشق، ط١، ١٩٨٨م.

٤٨- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، محمود الألوسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٤٩- الروح، محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، دار الفكر، بيروت، ط١٤٠٦هـ.

٥٠- زاد المسير في علم التفسير، عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٣، ١٤٠٤هـ.

٥١- سلسلة الأحاديث الصحيحة، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٤، ١٤٠٥هـ.

٥٢- سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، ط٤، ١٤٠٨هـ.

٥٣- سنن ابن ماجة، ابن ماجة محمد بن يزيد القزويني، تعليق: محمد فؤاد عبد الباقي، المكتبة الإسلامية، استانبول.

٥٤- سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث، إعداد وتعليق: عزت الدعاس، وعادل السيد، دار الحديث، بيروت، ط١، ١٣٩٣هـ.

٥٥- سنن الدارمي، عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، تحقيق: فواز زمرلي، وخالد السبع العلمي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ.

٥٦- السنن الواردة في الفتن وغوائلها والساعة وأشراطها، أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني، تحقيق: رضاء الله بن محمد المباركفوري، دار العاصمة، الرياض، ط١، ١٤١٦هـ.

٥٧- السيرة النبوية، ابن هشام، تحقيق: مصطفى السقا، وإبراهيم الأبياري، وعبد الحفيظ شلبي، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط٢، ١٣٧٥هـ.
٥٨- شرح سنن ابن ماجة القزويني، أبو الحسن الحنفي السندي، دار الجيل، بيروت.
٥٩- شرح الطحاوية، علي بن علي بن أبي العز الحنفي، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، وشعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٥، ١٤١٤هـ.
٦٠- شرح صحيح مسلم، محي الدين أبو زكريا النووي، المطبعة المصرية، مصر.
٦١- الشعاعات، بديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، شركة النسل، دار سوزلر، استانبول، ط١٩٩٢م.
٦٢- الصحاح، إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: شهاب الدين أبو عمرو، دار الفكر، ط١، ١٤١٨هـ.
٦٣- صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: مصطفى البغا، دار ابن كثير، بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ.
٦٤- صحيح الجامع الصغير وزيادته، محمد ناصر الدين الألباني، إشراف: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٤٠٦هـ.
٦٥- صحيح سنن أبي داود، محمد ناصر الدين الألباني، اختصار وتعليق: زهير الشاويش، مكتب التربية العربية لدول الخليج، توزيع: المكتب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٠٩هـ.
٦٦- صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج النيسابوري، دار ابن حزم، بيروت، ط١، ١٤١٦هـ.
٦٧- الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، محمد بن أبي بكر بن القيم الجوزية، تحقيق: علي بن محمد الدخيل الله، دار العاصمة، الرياض، ط١، ١٤٠٨هـ.
٦٨- الضعفاء، محمد بن عمر بن موسى العقيلي، تحقيق: عبد المعطي قلعجي، دار المكتبة العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٤هـ.

٦٩- ضعيف الجامع الصغير، محمد ناصر الدين الألباني، إشراف: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٤٠٨هـ.
٧٠- ضعيف سنن ابن ماجة، محمد ناصر الدين الألباني، إشراف: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ.
٧١- طلوع الشمس من مغربها علم للساعة، فريد عباس رجاء قبطني، ط٤، ٢٠٠٤م.
٧٢- عقيدة أهل السنة والأثر في المهدي المنتظر، الشيخ عبد المحسن العباد، مطابع الرشيد، المدينة المنورة، ط١، ١٤٠٢هـ.
٧٣- العلل المتناهية، عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، تحقيق: خليل الميس، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ.
٧٤- عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي، تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط٣، ١٤٠٧هـ.
٧٥- غريب الحديث، ابن قتيبة عبد الله بن مسلم، تحقيق: عبد الله الجبوري، مكتبة العاني، بغداد، ط١٩٧٧م.
٧٦- فتح الباري بشرح صحيح الإمام البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي، تصحيح: محب الدين الخطيب، إشراف وتصحيح: عبد العزيز بن باز، دار المعرفة، بيروت.
٧٧- فتح القدير، محمد بن علي الشوكاني، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤٠٢هـ.
٧٨- الفتن، نعيم بن حماد المروزي، تحقيق: سمير الزهيري، مكتبة التوحيد، القاهرة، ط١، ١٤١٢هـ.
٧٩- الفردوس بمأثور الخطاب، شيرويه بن شهردار الديلمي، تحقيق: السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨٦م.

٨٠- الفرق بين الفرق، عبد القاهر البغدادي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ.
٨١- الفصل في الملل والأهواء والنحل، علي بن أحمد بن حزم، تحقيق: محمد إبراهيم نصر، وعبد الرحمن عميرة، شركة مكتبات عكاظ للنشر والتوزيع، السعودية،ط١، ١٤٠٢هـ.
٨٢- فيض القدير، عبد الرؤوف المناوي، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط١، ١٣٥٦هـ.
٨٣- قاموس الكتاب المقدَّس، القس بطرس عبد الملك، والقس جون الكساندر طمس، وإبراهيم مطر وغيرهم، دار الثقافة المسيحية، ومطبعة سيوبرس، القاهرة، ط١٠.
٨٤- القاموس المحيط، الفيروز أبادي، دار الحديث، القاهرة.
٨٥- قصص الأنبياء، إسماعيل بن كثير القرشي، دار القلم، بيروت، ط٨، ١٤١١هـ.
٨٦- قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر، صديق حسن خان، تحقيق: عاصم القريوتي، شركة الشرق الأوسط للطباعة، عمان، ط١، ١٤٠٤هـ.
٨٧- القناعة فيما يحسن الإحاطة من أشراط الساعة، محمد بن عبد الرحمن السخاوي، تحقيق: محمد حسن محمد، وأحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٢٤هـ.
٨٨- الكامل في ضعفاء الرجال، عبد الله بن عدي الجرجاني، تحقيق: يحيى مختار غزاوي، دار الفكر، بيروت، ط٣، ١٤٠٩هـ.
٨٩- الكتاب المقدَّس بعهديه: القديم (٣٩ سفراً)، والجديد (٢٧ سفراً)، دار الكتاب المقدَّس في الشرق الأوسط، ط ١٩٩٥م.

٩٠- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، محمود بن عمر الزمخشري، مكتبة المعارف، الرياض، ودار المعرفة، بيروت.
٩١- الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، مكي بن أبي طالب القيسي، تحقيق: محي الدين رمضان، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، ط١٣٩٤هـ.
٩٢- لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور، دار صادر، بيروت، ط١.
٩٣- لسان الميزان، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دائرة المعارف النظامية، الهند، ومؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط٣، ١٤٠٦هـ.
٩٤- لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد، عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي، شرح: الشيخ محمد صالح العثيمين، تحقيق: أشرف عبد المقصود، مكتبة البخاري، مصر، ط٢، ١٤١٢هـ.
٩٥- الله والأنبياء في التوراة والعهد القديم، محمد علي البار، دار القلم، دمشق، والدار الشامية، بيروت، ط١، ١٤١٠هـ.
٩٦- لوامع الأنوار البهية، وسواطع الأسرار الأثرية، شرح الدرة المضية، في عقيدة الفرقة المرضية، محمد بن أحمد السفاريني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٤٠٥هـ.
٩٧- المجروحين، أبو حاتم محمد بن حبان البستي، تحقيق: محمود إبراهيم زايد، دار الوعي، حلب.
٩٨- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، نور الدين الهيثمي، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت، ط٣، ١٣٩٣هـ.
٩٩- مجموع الفتاوى، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، جمع: ابن قاسم، إشراف: الرئاسة العامة لشؤون الحرمين، طبع: إدارة المساحة العسكرية، القاهرة، ط١٤٠٤هـ.

١٠٠- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، محمد عبد الحق بن غالب بن عطية، تحقيق: المجلس العلمي بفاس، المغرب، ط ١٤١٣هـ.
١٠١- مختصر بصائر الدرجات، حسن بن سليمان الحلي، انتشارات الرسول المصطفى، قم، إيران، ط١، ١٣٧٠هـ.
١٠٢- مختصر في شواذ القرآن، الحسين بن أحمد بن خالويه، مكتبة المتنبي، القاهرة.
١٠٣- المخصص، ابن سيده علي بن إسماعيل الأندلسي، دار الكتب العلمية، بيروت.
١٠٤- مدارك التنزيل وحقائق التأويل، عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، تحقيق: يوسف علي بديوي، ومحي الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ.
١٠٥- المسائل الكافية في بيان وجوب صدق خبر رب البرية، محمد بن يوسف الكافي، مطبعة حجازي، القاهرة، ط١٣٥٣هـ.
١٠٦- المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد بن حنبل في العقيدة، عبد الإله بن سلمان الأحمدي، دار طيبة، الرياض، ط١، ١٤١٢هـ.
١٠٧- المستدرك على الصحيحين، محمد بن عبد الله الحاكم، إشراف: يوسف المرعشلي، دار المعرفة، بيروت.
١٠٨- مسند ابن الجعد، علي بن الجعد بن عبيد البغدادي، تحقيق: عامر أحمد حيدر، مؤسسة نادر، بيروت، ط١، ١٤١٠هـ.
١٠٩- مسند إسحاق بن راهويه، إسحاق بن إبراهيم بن راهويه، تحقيق عبد الغفور بن عبد الحق البلوشي، مكتبة الإيمان، المدينة المنورة، ط١، ١٤١٢هـ.
١١٠- مسند الطيالسي، سليمان بن داود الطيالسي، دار الكتاب اللبناني، ودار التوفيق، بيروت، ط١، ١٣٢١هـ.

١١١- المسند، أبو يعلى أحمد بن علي بن المثنى، تحقيق: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث، دمشق، ط١، ١٤٠٤هـ.
١١٢- المسند، أحمد بن حنبل، شرح أحمد شاكر، دار المعارف، مصر، ط ١٣٧٥هـ.
١١٣- المسند، أحمد بن حنبل، فهرسة: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٥، ١٤٠٥هـ.
١١٤- مصباح الزجاجة، أحمد بن أبي بكر الكناني، تحقيق: محمد المنتقى الكشناوي، دار العربية، بيروت، ط٢، ١٤٠٢هـ.
١١٥- المصباح المنير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، بيروت، ط٢، ١٤١٨هـ.
١١٦- مصنف بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن أبي شيبة، تحقيق: كمال الحوت، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤٠٩هـ.
١١٧- معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول في التوحيد، حافظ أحمد حكمي، دار الكتب العلمية، بيروت.
١١٨- معالم التنزيل، الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: خالد العك، ومروان سوار، دار المعرفة، بيروت، ط٢، ١٤٠٧هـ.
١١٩- معاني القرآن، يحيى بن زياد الفراء، تحقيق: محمد علي النجار، دار السرور، بيروت.
١٢٠- المعجم الأوسط، سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني، تحقيق: طارق عوض الله، وعبد المحسن الحسيني، دار الحرمين، القاهرة، ط١٤١٥هـ.
١٢١- معجم البلدان، ياقوت الحموي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١٣٩٩هـ.
١٢٢- المعجم الكبير، سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني، تحقيق: حمدي السلفي، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط٢، ١٤٠٤هـ.

١٢٣- المعجم الموسوعي للديانات والعقائد والمذاهب والفرق والطوائف والنحل في العالم، سهيل زكار، دار الكتاب العربي، دمشق والقاهرة، ط١، ١٤١٨هـ.
١٢٤- معرض الإبريز من الكلام الوجيز عن القرآن العزيز، عبد الكريم محمد الأسعد، دار المعراج الدولية، ط١، ١٤١٩هـ.
١٢٥- معرفة الصحابة، أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، تحقيق: محمد حسن محمد، ومسعد عبد الحميد السعدني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ.
١٢٦- المفردات في غريب القرآن، الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني، تحقيق: محمد خليل عيتاني، دار المعرفة، بيروت، ط٣، ١٤٢٢هـ.
١٢٧- المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أحمد بن عمر القرطبي، تحقيق: محي الدين ديب مستو، ويوسف بديوي، وأحمد السيد، ومحمود بزال، دار ابن كثير، دمشق، ط١، ١٤١٧هـ.
١٢٨- مقالات الإسلاميين، علي بن إسماعيل الأشعري، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط٢، ١٣٨٩هـ.
١٢٩- الملل والنحل، محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، تحقيق: أمير علي مهنا، وعلي حسن فاعود، دار المعرفة، بيروت، ط٧، ١٤١٩هـ.
١٣٠- المنهاج في شعب الإيمان، الحسين بن الحسن الحليمي، تحقيق: حلمي محمد فودة، دار الفكر، ط١، ١٣٩٩هـ.
١٣١- منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير، فهد الرومي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١٤١٤هـ.
١٣٢- موسوعة المدن العربية والإسلامية، يحيى شامي، دار الفكر العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٣م.

١٣٣- الموضح في وجوه القراءات وعللها، نصر بن علي الفارسي، تحقيق: عمر الكبيسي، ط١، ١٤١٤هـ.
١٣٤- موقف المدرسة العقلية من السنة النبوية، الأمين الصادق الأمين، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤١٨هـ.
١٣٥- ميزان الاعتدال في نقد الرجال، محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: علي البجاوي، وفتحية البجاوي، دار الفكر العربي، القاهرة.
١٣٦- النبوات، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، المطبعة السلفية، القاهرة، ط١٣٨٦هـ.
١٣٧- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر البقاعي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.
١٣٨- نظم المتناثر من الحديث المتواتر، جعفر الحسني الكتاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١٤٠٠هـ.
١٣٩- النكت والعيون، علي بن محمد الماوردي، تعليق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ.
١٤٠- النهاية في الفتن والملاحم، إسماعيل بن كثير القرشي، تحقيق: محمد أحمد عبد العزيز، المكتب الثقافي، القاهرة.
١٤١- النهر الماد من البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، تقديم وضبط: بوران الضناوي، وهديان الضناوي، دار الجنان، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ.
١٤٢- الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، علي بن أحمد الواحدي، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، دمشق، والدر الشامية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.
١٤٣- الوسيط في تفسير القرآن المجيد، علي بن أحمد الواحدي، تحقيق: عادل عبد الموجود، وعلي معوض، وأحمد صبري، وأحمد عبد الغني، وعبد الرحمن عويس، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.

الصحف والمواقع الإلكترونية:

١- جريدة الأهرام المصرية، العدد: (٤٢٨١٢)، تاريخ: ٣ / ١ / ١٤٢٥هـ، الموافق: ٢٣ / ٢ / ٢٠٠٤م.

٢- صحيفة السودان الدولية، العدد: (١٩١)، تاريخ:٢٠ / ٤ / ١٤٢٧هـ، الموافق: ١٨ / ٥ / ٢٠٠٦م.

٣- موقع مكتبة العقائد الإمامية:

http://www.١٤masom.com/maktabat/maktaba-akaed/maktaba-akaed.htm.

٤- موقع بنور صالح:

http://mosque.electronic.iquebec.com تاريخ: ٢٤ / ٣ / ٢٠٠٦.

٥- موقع قضايا عربية:

.http:www.arabtopics.com

٦ - موقع المركز الدولي للبحث العلمي بباريس:

. http://www.cirs-tm.org

٧- موقع محمد تقي الدين المدرسي :

.http://www.almodarresi.com/hedayat/١٠/a٢٠iwkgh.htm

فهرس الآيات القرآنية

الآيـــــــة	رقمها	رقم الصفحة
﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ﴾	٤٥	١١
سورة النمل		
﴿حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ﴾	١٨	٥١
﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لا يُوقِنُونَ﴾	٨٢	١٠، ١٤، ١٥، ٣٣، ٣٥، ٤١، ٤٣، ٥٢، ٦٥، ٦٧
﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾	٨٣	٦٧
﴿حَتَّى إِذَا جَاؤُوا قَالَ أَكَذَّبْتُم بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾	٨٤	٦٧
﴿وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لا يَنطِقُونَ﴾	٨٥	٦٧
سورة العنكبوت		
﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾	٦٠	١٠

الآيـــــــة	رقمها	رقم الصفحة
﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلا أَبْصَارُكُمْ وَلا جُلُودُكُمْ وَلَكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ اللَّهَ لا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾	٢٢	١٢٢
﴿وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنْ الْخَاسِرِينَ﴾	٢٣	١٢٢
سورة محمد		
﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَاء أَشْرَاطُهَا فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ﴾	١٨	٣٦، ٣٧، ١١٥
سورة الفتح		
﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾	٢٨	٧٠
سورة الحديد		
﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاء وَالأَرْضِ﴾	٢١	١٢١
سورة المجادلة		
﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾	٦	١٢٢
سورة الحشر		
﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾	٧	٣٩
سورة الصف		
﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾	٩	٧٠

فهرس الأحاديث النبوية

فهرس الكلمات الغريبة

فهرس الأماكن والبقاع

فهرس الموضـــوعات